الفصل الثانى

المنطلقات النظرية للدراسة

الفصل الثانى

المنطلقات النظرية للدراسة

المنطلق الأول : المناخ الأسرى والنسق الأسرى :

- الأسرة كنسق
- تعريف المناخ الأسرى
- العلاقات الأسرية التفاعلية
- تطور دراسة تأثير الأسرة على شخصية الأبناء
- المناخ الأسرى غير السوى

المنطلق الثانى : المراهقة :

- تعريف المراهقة
- المراهق والأسرة
- دور الأسرة فى إشباع الحاجات النفسية للمراهق
- العوامل المؤثرة فى إشباع حاجات المراهق

المنطلق الثالث : الحاجات النفسية :

- تعريف الحاجة
- النظريات المفسرة للحاجة وتعقيب العلماء عليها
- دراسة نظرية الحاجة عند ماسلو

المنطلق الأول

المناخ الأسرى والنسق الأسرى

أولاً : الأسرة كنسق

تُعد دراسة النسق الأسرى هى مرحلة تطويرية حديثة لدراسة الأسرة والمناخ الأسرى فينظر النسق الأسرى إلى الأسرة على أنها تتكون من عوامل مرتبطة ومتشابكة تتفاعل مع بعضها البعض تفاعلاً ديناميًا . أما دراسة الأسرة على أنها أجزاء منفصلة عن بعضها فيتجاهل التعدد الطبيعى لمتغيرات الأسرة والعلاقات الأسرية . وتقوم فكرة النسق على مبدأ الكل والذى يرى أن خصائص الجزء تعود إلى خصائص الكل الذى ينتمى إليه الجزء ، وأنه لا يمكن فهم الأداء الوظيفى للكل إلا إذا قمنا بتحليل الأجزاء المكونة له .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ٩٠)

ولذلك سوف **تتناول الباحثة** دراستها للمناخ الأسرى من وجهة نظر نظرية الأنساق ، فالتوجه النسقى فى علم النفس توجه قديم نسبيًا وله جذوره باعتباره العلم الذى يدرس السلوك الذى يتأثر بأنساق معينة ، وفى مقدمة هذه الأنساق التى تؤثر فى السلوك تأتى الأسرة وفكرة أن الأسرة تعدّ نسقا متكاملاً فكرة متأصلة ولها أصولها فى الفلسفة وعلم الاجتماع

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ٨٥)

وسوف **تتبنى الباحثة** هذه النظرية لأنها تتناول الأسرة كوحدة دينامية متفاعلة ؛ "فالأسرة تتكون من أفراد ولكننا لا نستطيع فهم سلوكها فهمًا كاملاً من خلال دراسة كل فرد فيها على حدة ، فلو درسنا سلوك كل عضو من أعضاء الأسرة فلن نقول إننا قد درسنا سلوك الأسرة ، وتشبه إيفيلين سيبرج "Evelyn Sieburge" مثل هذه الدراسة بمن يحاول دراسة سيارة وفهمها من خلال تناول كل جزء فيها على حدة "إننا قد نستطيع بهذه الطريقة معرفة بعض الأشياء عن السيارة ولكننا لا نعرف أهم مظهر على الإطلاق وهو معرفة كيف تعمل هذه الأجزاء معًا . وعلى الرغم من سهولة التعرف على مكونات النسق وهم الأفراد المكونون للأسرة ، إلا أننا يمكن أن نقع فى الخطأ إذا ما افترضنا أننا نستطيع أن

نقوم بدراسة كل فرد من أفراد الأسرة على حدة – شخصيته وميوله ورغباته واستعداداته – ثم نقوم بعد ذلك بفهم السلوك الكلى للأسرة بربط الشخصيات المفردة بعضها إلى بعض بطريقة الجمع الكمى ، بل إنه يصبح من غير الممكن أن نستطيع فهم كل فرد من أفراد الأسرة بصورة فردية وعلى حدة . إذا لو قمنا بدراسته بعيدًا عن السياق الكلى لأنه سيكون شيئا منفصلاً معلقًا فى الفراغ" .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ٨٣-٨٤)

ولا يعنى ذلك أننا لا نستطيع دراسة الأسرة إلا من خلال نظرية الأنساق ولكن هذه النظرية أعم وأشمل – من وجهة نظر الباحثة – لأنها تحاشت إلى حد ما عيوب النظريات السابقة والتى كانت تنظر إلى الأسرة نظرةَ أحادية أو من جانبٍ واحد فقط ، فكان الاتجاه السائد – من قبل – يهتم بدور الأم وأثرها فى تكوين شخصية الطفل ، ثم ظهر اتجاهٌ آخرٌ وهو الاهتمام بدور الأب وأثره فى تكوين شخصية الطفل . ولكن يُعد الاقتصار على دراسة تأثير الأم أو الأب فقط أمرًا مضللاً لأن العامل الهام والمؤثر فى شخصية الطفل هو عملية التفاعل المتبادل بين الابن والوالدين من جهة وبين الوالدين والابن من جهة أخرى .

"فقامت نظرية الأنساق على فكرة أساسية مؤداها أن الكل لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة أجزائه فى علاقتها بعضها ببعض وفى علاقتها بالعملية الكلية للأداء ، ومعنى ذلك أن العلاقات الإنسانية داخل النسق الأسرى أصبحت علاقات دينامية حيَّة ، تتفاعل فيها خصائص وسلوك كل عضو معًا ، وتحدد استجابات كل الأعضاء الآخرين . أى لم تصبح العلاقات داخل الأسرة ذات اتجاه واحد حيث كان الآباء هم المرسلين أى هم الذين يقوموا بدور الفاعل "Subject" ، بينما كان الأبناء هم المتلقين أى هم الذين يقوموا بدور المفعول "Object" ولكن أصبحت العلاقات بين الآباء والأبناء علاقات تبادلية أى أن كل عضو يؤثر فى الآخر ويتأثر به . وهذا ما تهدف إليه نظرية الأنساق وهو معرفة كيف يتفاعل أفراد الأسرة معًا بحيث يشكلون ما يعرف باسم الجو العام للأسرة أى (المناخ الأسرى)" .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ٨٣)

وبعد **استعراض الباحثة** للعلاقة بين النسق والمناخ الأسرى سوف توضِّح تعريف النسق وجذور هذه النظرية فى علم النفس وتطبيق مبادئ نظرية الأنساق على الأسرة .

١ – تعريف النسق :

"يستند تعريف النسق على فكرة أساسية وهى أنه لا يمكن فهم الكل إلا من خلال دراسة أجزائه فى علاقتها ببعضها البعض وفى علاقتها بالعملية الكلية للأداء حيث يُعرّف النسق طبقًا لذلك بأنه : مجموعة من الأفكار والمسلمات والمفاهيم والاتجاهات التفسيرية ، ذات بنية تتفاوت من حيث درجة وضوحها وتحديدها ، تفيد فى إيجاد بنية للبيانات والمعطيات فى مجال علمى معين . وكذلك يشير مصطلح النسق إلى معنى أكثر تحديدًا وهو ترتيب شىء لأشياء يتصل بعضها ببعض أو آلات أو مثيرات ، وهذا الترتيب للعناصر يتم بحيث تعمل معًا لأداء وظيفة" .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ٨٤)

٢ – جذور التوجه النسقى فى علم النفس :

إن التوجه النسقى فى علم النفس هو توجه قديم نسبيا وله جذوره باعتباره هو ذلك العلم الذى يدرس السلوك الذى يتأثر بأنساق معينة وفى مقدمة هذه الأنساق التى تؤثر فى السلوك الأسرة ، وفكرة أن الأسرة تُعَدُّ نسقا متكاملا هى فكرة متأصلة ولها أصولها فى الفلسفة وعلم الاجتماع . وتتمثل أصول نظرية الأنساق فى علم النفس فى ثلاثة جذور أساسية وهى :

أ – نظرية المجال عند كيرت ليفين :

لقد صاغ ليفين مبدأين أساسيين اشتقهما من علم النفس الجشطلتى ويعدان صيغًا أساسية لدراسة الأنساق الأسرية وهما :

- أن الأجزاء والعناصر لا توجد بصورة معزولة عن بعضها البعض ولكنها تنتظم فى صورة كلية .
- أن السلوك يتسم بالطابع الدينامى أكثر مما يتسم بالطابع الميكانيكى .

ومعنى ذلك أنه إذا كان الكل أكبر من مجموع أجزائه فإن سلوك كل جزء لا ينتج فقط من الخصائص الخاصة به وحده ولكنه ينتج أيضًا من علاقة ذلك الجزء بالأجزاء الأخرى وعلاقته بالكل .

ب - الفلسفة عبر التفاعلية :

وهى بمثابة إعادة صياغة لمبدأ الجدل الذى وضعه الفيلسوف الألمانى "هيجل" . وعلى الرغم من أنه يمكن تطبيق التفاعلية على كل أنواع الموضوعات إلا أنها تكون أكثر ملاءمة لدراسة الاتصال الإنسانى . فلا ينبغى أن نفهم الاتصال الإنسانى على أنه نموذج بسيط للفعل ورد الفعل ، وإنما كنسق يجب فهمه على المستوى التعاملى . فالشخص يميل إلى التفكير فى سلوكه وسلوك أسرته فى ضوء العلاقة البسيطة (السبب - النتيجة) و(المثير - الاستجابة) ولكن الفلسفة عبر التفاعلية ترى أن كلاً منهما طرف مساوٍ فى ذلك التفاعل داخل الأسرة .

جـ - المذهب الكلى :

ويرى هذا المذهب أن خصائص الجزء تعود إلى خصائص الكل الذى ينتمى إليه هذا الجزء ولا يكتفى المذهب الكلى بأن ينظر إلى الكائن الحى بوصفه كلاً متكاملاً فقط ولكنه ينظر إليه بوصفه مكونًا متفاعلاً مع بيئته .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ص ٨٥ - ٩٠)

٣- تطبيق مبادئ نظرية الأنساق على الأسرة :

أ - قواعد النسق الأسرى :

الأسرة نسق يحكمه قواعد "Rules" تنظم تفاعل أفراد الأسرة حسب هذه القواعد . بحيث إن هناك قواعد وأنماط منظمة وراسخة فى الأسرة تجعل من الممكن لكل فرد من أفراد الأسرة أن يعرف ماهو مسموح له به أو ما هو متوقع منه . وهذه القواعد تكون عادة غير مصاغة فى صورة كلمات ولكنها تشكل الأساس فى تطور تقاليد الأسرة وتحدد إلى درجة كبيرة ما هو متوقع من أعضاء الأسرة بعضهم إزاء البعض .

ب - اتزان النسق الأسرى :

أوضح علماء الفيزيولوجيا أن جسم الإنسان له القدرة على العمل كنسق أو كنظام ذاتى التشغيل يحافظ على وضعه الثابت رغم إمكانية حدوث تغيرات كبيرة فى البيئة الخارجية . وما يحدث على مستوى النسق الجسمى للفرد يحدث على مستوى الأنساق

الأخرى ، وخاصة النسق الأسرى . ومن وظائف ميكانزم الاتزان أنه لا يسمح لأى انحراف أن يزيد ويضع أسقف أو حدود عليا لتصاعد التفاعلات وخاصة السلبية .

جـ - التغذية المرتدة داخل النسق الأسرى :

ويقصد بها إعادة إدخال نتائج الأداء السابق إلى مدخلات النسق من جديد كوسيلة لمراقبة الأداء وتحسينه . بمعنى أن النتائج التى تعتبر مخرجات النسق يعاد إدخالها مرة أخرى أو إدخال بعضها مرة أخرى كمدخلات وذلك للاستفادة منها فى التصحيح والتحسين للأداء فيما بعد بطريقة دائرية أو حلقية ، وتساعد حلقات التغذية المرتدة فى التهدئة من التأرجحات والتذبذبات التى تتم داخل النسق لتساعد بهذا فى الإبقاء على حياة النسق ومن ثم توسيعه وتمديده .

د - حدود النسق :

وهى خطوط غير مرئية لتحديد الخطوط الفاصلة بين نسق وآخر أو بين الأنساق الفرعية داخل النسق الأكبر أو الفوقى . أو حتى بين الفرد والبيئة المحيطة به الخارجية . وتقوم حدود النسق بمهمة حارس البوابة الذى يضبط تدفق المعلومات إلى النسق ومنه .

هـ - الانغلاق والانفتاح فى النسق الأسرى :

- **النسق الأسرى المنفتح :** هو ذلك النسق الذى يحافظ على نفسه من خلال عملية مستمرة من المدخلات والمخرجات . أى أنه فى حالة تبادل دائم للمعلومات والطاقة مع البيئة الخارجية وهو بذلك ينمو ويتجدد .
- **النسق الأسرى المنغلق :** فإنه نسق مبتور الصلة بما حوله ، ولا يسعى لتبادل المعلومات والطاقة مع البيئة المحيطة به . بل يحاول أن يحافظ على توازنه داخل حدوده فقط .

و - تغير النسق الأسرى :

لا يظل النسق الأسرى ثابتا ولكنه يتعرض لكثير من الظروف التى تفرض عليه التغيير مثل : ولادة طفل جديد فى الأسرة . ولكن يجب على أفراد الأسرة أن يتكيفوا مع

هذا التغير وأن يُعِدُّوا أنفسهم للتوافق مع الظروف الجديدة . ولكن إذا استمر النسق فى سلوكه القديم ولم يعترف بالظروف الجديدة فإن ذلك يعقد المشكلة بل ويمهد للمزيد من المشكلات .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٠٦-١٢٠)

وبعد **عرض الباحثة** لتعريف النسق والمبادئ الأساسية لنظرية الأنساق وتطبيق هذه المبادئ النسقية على الأسرة . وسوف توضح الباحثة تعريف المناخ الأسرى وطبيعة العلاقات السائدة بين الوالدين من جانب وبين الوالدين والأبناء من جانب آخر .

ثانيًا : تعريف المناخ الأسرى

"هناك مصادر بيئية كثيرة تؤثر على سلوك الفرد وخصائصه ومدى توافقه ، ومن ثم مدى ما يتمتع به من صحة نفسية سليمة . وتلعب هذه المصادر أدوارًا متباينةً منْ حيث ما تسهم به من تأثير ، سواء من حيث مقداره أو نوعيته . وهذه المصادر متداخلة فليس بينها حدود فاصلة وهى أقرب ما تكون إلى الدوائر ذات المركز الواحد التى تتسع شيئًا فشيئًا ؛ أو إلى تلك الحلقات الموصولة التى تؤثر كل منها فى الآخر وتتأثر بها بحكم الإطار الثقافى العام الذى يحكمها ولعل أهم هذه المصادر الأسرة ، المدرسة ، المجتمع" .

(عبد المطلب القريطى ، ١٩٩٧ ، ص ٤٣٥)

ولكن الأسرة هى أولى هذه المصادر البيئية التى تؤثر على سلوك الفرد وخصائصه الشخصية ، ويتضح لنا ذلك من خلال طبيعة العلاقات والاتصالات التى تحدث فى السياق الأسرى ؛ وتتشابه الاتصالات الأسرية مع الاتصالات الأخرى إلا أنها تختلف عنها فى شدتها ؛ وذلك لأن هذه الاتصالات تحدث بين أفراد شديدى الصلة وتربطهم روابط وثيقة وهى روابط الدم بل يرتبط بعضهم ببعض أكثر مما يحدث فى أى سياق إنسانى آخر .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ١٢١)

"فالمناخ الأسرى هو نوعية أو ماهية الأساليب التى يمارس فى ضوئها ومن خلالها – الآباء والأمهات – أدوارهم الأبوية والأمومية مع أبنائهم من الجنسين فى

مسعاهم لتطبيعهم أو تنشئتهم اجتماعيا وفقا لما تعارف عليه المجتمع من قيم وعادات ومقومات للسلوك" .

(إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٢ ، ص ٤)

أما **فوزية عبد الباقى** (١٩٨٩) فعرَّفت المناخ الأسرى بأنه "تلك الخصائص المميزة لنمط العلاقات والتفاعل بين أعضاء الأسرة ، كما تتحدد غالبا بالاتجاهات والممارسات التى ينتهجها الوالدان فى تنشئة الأبناء وما قد تتسم به من دفء وتقبل ومشاركة وجدانية وتشجيع واستحسان أو ما يقابلها من برود ونبذ وإهمال وقسوة وتسلط ونحو ذلك من تباين خصائص معاملة الوالدين للأبناء" .

(فوزية عبد الباقى ، ١٩٨٩ ، ص ١٢)

بينما عرَّفت **زينب غريب** (١٩٩٣) المناخ الأسرى بأنه "ذلك المناخ الذى يسمح للأسرة بأن تقوم بأداء كامل وفعال لوظائفها من حيث إتاحة الفرصة للنمو المستقل لشخصيات أفرادها والعمل على تدعيم العلاقات بينهم وتحقيق أكبر قدر من التماسك والتقارب داخل الأسرة" .

(زينب عبد الرازق غريب ، ١٩٩٣ ، ص ١٥)

وعرَّفت **عواطف حسين صالح** (١٩٩٤) المناخ الأسرى بأنه "المناخ الذى يتسم بالتماسك بين أعضاء الأسرة والتعبير عن مشاعرهم المختلفة والالتزام بالنواحى الدينية والخلقية والتوجيه الفكرى والثقافى القائم على النظام والضبط الأسرى والذى يعمل على توفير الدوافع للاستقلال وإقامة علاقات اجتماعية متوافقة مع الآخرين" .

(عواطف حسين صالح ، ١٩٩٤ ، ص ٢٣٢)

أما **نبيل عبد الفتاح** (١٩٩٧) فعرَّف المناخ الأسرى بأنه "الجو الذى ينمو فى إطاره الطفل والمراهق . وتتشكل الملامح الأولى لشخصيته وهو المصدر الأساسى لإشباع حاجاته واستثارة طاقاته وتنميتها وفى سياقه يتعرض الطفل لعملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعى وفقا لأساليب معينة ويشعر بردود الأفعال المباشرة تجاه محاولاته الأولى للكشف والتجريب وتكوين شخصية مستقلة لها طابعها وأهدافها الخاصة" .

(نبيل عبد الفتاح ، ١٩٩٧ ، ص ٢٤٣)

أما **أمنية ياقوت الشمرلى** (١٩٩٩) فعرَّفتْ المناخ الأسرى بأنه "تلك الأشكال والخصائص التى تحدد المنهج الذى يتبعه الوالدين فى معاملة الأبناء وفى ممارسة سلطاتهما الوالدية معهم فى العديد من المواقف الحياتية" .

(أمنية ياقوت الشمرلى ، ١٩٩٩ ، ص ٩)

وكذلك عرَّف **محمد بيومى خليل** (٢٠٠٠) المناخ الأسرى بأنه ذلك الطابع العام للحياة الأسرية من حيث توفر الأمانة والتضحية والتعاون ، ووضوح الأدوار وتحديد المسئوليات ، وأشكال الضبط ، ونظام الحياة ، وكذلك أسلوب إشباع الحاجات الإنسانية ، وطبيعة العلاقات الأسرية ، ونمط الحياة الروحية والخلقية التى تسود الأسرة مما يعطى شخصية أسرية عامة ، حيث نقول أسرة سعيدة ، أسرة قلقة ، أسرة متصدعة ، أسرة مترابطة" .

(محمد بيومى خليل ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦)

- بينما عرَّف **محمود شبيب حسن** (٢٠٠١) المناخ الأسرى بأنه البيئة الأسرية التى يوفرها الوالدان متمثلاً فى جو من الحب والدفء والاطمئنان من خلال الأنماط السلوكية التى يمارسها الوالدان والتى بدورها تؤدى بالأبناء إلى أن يمارسوا سلوكيات بعيدة عن الخوف والقلق والتوتر والتردد" .

(محمود شبيب حسن ، ٢٠٠١ ، ص ٢٧٢)

وسوف تتبنى الباحثة تعريف علاء كفافى (١٩٨٧) والذى عرَّف فيه المناخ الأسرى بأنه هو الجو الذى يسود الأسرة طبقًا لنوعية شبكة العلاقات الإنسانية والاجتماعية التى تربط بين أفراد الأسرة وعلى رأس هذه العلاقات طبيعة العلاقات بين الوالدين ، ثم طبيعة العلاقات بين كل منهما ، وكل فرد من أفراد الأسرة الآخرين وتوقعاته منه وفهمه لالتزاماته نحوه ، ومما يساهم فى تحديد المناخ الأسرى - أيضًا - نوعية الصراعات التى قد تنشأ بين كل فرد وآخر من الأسرة واحتمال اتخاذ الفرد من الآخرين وسائل لتحقيق غاياته وأن يتخذه ككبش فداء" .

(علاء كفافى ، ١٩٨٧ ، ص ٢١٦)

ومن هذه التعريفات السابقة يتبين لنا وجود نمطين لوصف المناخ الأسرى . فقد صنف **منوشن "Minuchin"** المناخ الأسرى على أساس بعدين أساسيين : البعد الأول : التماسك ،

البعد الثانى : التكيفية . أما من حيث التماسك فتنقسم الأسرة إلى أربع مستويات ويمتد الأربع مستويات على متصل يقع فى أحد أطرافه الأسرة المتشابكة Enmeshed Family ، وفى الطرف الآخر المقابل الأسرة المتباعدة Detached Family ، وبالإضافة إلى هذين النمطين (المتشابك ، المتباعد) فإن منوشن يصف نمطين آخرين يقعان بين النمطين السابقين المتطرفين الذين يحتلان أطراف المتصل والنمط الأول منهما هو الأسرة المرتبطة Connected Family . أما النمط الثانى فهو الأسرة المنفصلة Sperated Family .

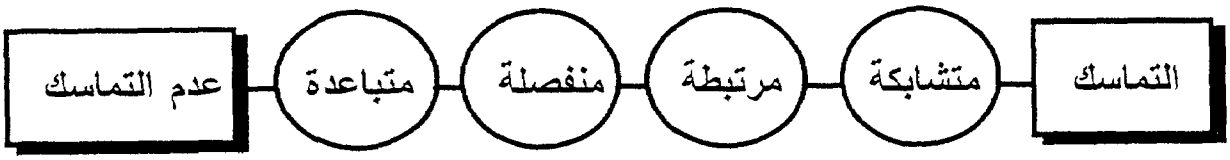

شكل رقم (١) : تصنيف الأسرة حسب متصل التماسك

أما من حيث التكيفية "Adaptability" فصنف منوشن المناخ الأسرى إلى أربعة أنماط : النمط الأول وهو الأسرة المهوشة أو المشوشة "Chaotic Family" وعلى الطرف المقابل فى متصل التكيفية توجد الأسرة الجامدة والتى تصدر عنها استجابات جامدة . وهناك نمطان متوسطان بين النمطين المتطرفين : أولهما الأسرة التى يصدر عنها الاستجابة المرنة "Flexible Response" ، أما النمط الرابع والأخير من الأسرة وهى الأسرة التى يصدر عنها استجابات مقننة "Standard Response" .

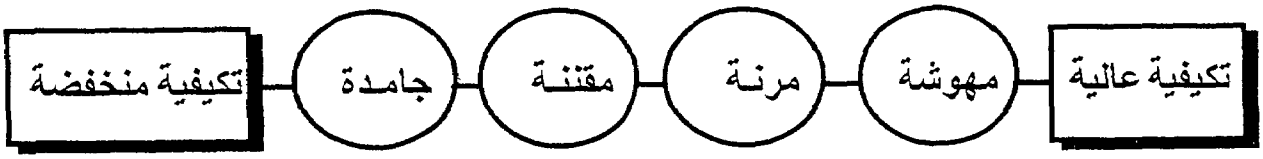

شكل رقم (٢) : تصنيف الأسرة حسب متصل التكيفية

(منوشن ، Minuchin, 1974 فى علاء الدين كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ص ٣٨٢ - ٣٨٥)

وبما أن الباحثة متبنية تعريف **علاء كفافى** للمناخ الأسرى والذى يعرفه بأنه الجو الذى يسود الأسرة طبقًا لنوعية شبكة العلاقات الإنسانية والاجتماعية التى تربط بين أفراد الأسرة وعلى رأس هذه العلاقات طبيعة العلاقات بين الوالدين ، ثم طبيعة العلاقات بين كل منهما وكل فرد من أفراد الأسرة الآخرين وتوقعاته منه وفهمه لالتزاماته نحوه ، ومما يساهم فى تحديد المناخ الأسرى - أيضا - نوعية الصراعات التى قد تنشأ بين كل

فرد وآخر من الأسرة واحتمال اتخاذ الفرد من الآخرين وسائل لتحقيق غاياته وأن يتخذه ككبش فداء .

(علاء كفافى ، ١٩٨٧ ، ص ٢١٦)

ثالثًا : العلاقات الأسرية التفاعلية

وسوف **تستعرض الباحثة** طبيعة العلاقات والتفاعلات التى تتم داخل المناخ الأسرى كالتالى :

١ - طبيعة العلاقات والتفاعلات بين الوالدين :

وتتضمن العلاقات بين الوالدين مجموعة الأساليب المتبادلة بين الوالدين أثناء تفاعلهم فى المواقف المختلفة .

(نبيل عبد الفتاح ، ١٩٩٧ ، ص ١٠٩)

وتنقسم العلاقات والتفاعلات بين الوالدين إلى نوعين :

- **العلاقات والتفاعلات الإيجابية** : وذلك عندما يكون تأثير سلوكيات كل من الوالدين على الآخر طيبًا ومُرضيًا ويثير فيه مشاعر الحب والمودة ، وأفكار التعاون والتأييد ، ويدفعه إلى عمل ما يرضيه . ولذلك يسمى هذا التفاعل بالتفاعل الجالب للسرور .
- **العلاقات والتفاعلات السلبية** : وذلك عندما يكون تأثير سلوكيات كل منهما على الآخر سيئًا ومزعجًا ويثير مشاعر العداوة والنفور وأفكار الخصومة والانتقام ، ويدفعه إلى عمل ما يغضبه ويثيره . ولذا يسمى هذا التفاعل بالتفاعل الجالب للإزعاج .

(كمال مرسى ، ١٩٩١ ، ص ٨٥)

"وتعتبر العلاقات الإنسانية بين الأبوين من أهم العوامل التى تؤثر فى نوع المعاملة التى يتلقاها الأبناء من آبائهم كما أنها تؤثر تأثيرًا كبيرًا على الجو السائد فى محيط الأسرة ؛ وذلك لأن الأبوين يقومان فى الأسرة بدور القيادة . علاوة على دورهما كآباء وأمهات . ويضربان لأعضاء الأسرة - صغارًا وكبارًا - الأمثلة التى يحتذى بها بطريقة شعورية ولا شعورية على حدٍ سواء" .

(هدى محمد عبد العال ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠)

فإذا كانت العلاقة بينهما أى بين الوالدين يسودها الحب والوفاق والفهم المتبادل خاصة فيما يتعلق بالسياسة التى يتبعناها فى تربية الأبناء ترك هذا أثرا طيبا على تكوين شخصية الأبناء وعلى صحتهم النفسية . أما إذا كانت هذه العلاقة يسودها الكراهية والخلاف وسوء التفاهم واختلفت سياسة كل منهما فى طريقة تربية الأبناء كأن يميل إحداهما إلى التدليل والآخر إلى القسوة فعادةً ما يشعر الأطفال بالقلق وعدم الشعور بالأمن مما يكون له أثره السيىء على سلوكهم وصحتهم النفسية والعقلية .

(مختار حمزة ، ١٩٨٣ ، ص ٢١٤)

وأثبتت نتائج كثير من الدراسات أن هناك ارتباط موجب بين التوتر الذى يشيع فى جو الأسرة نتيجة لخلاف الوالدين وأنماط من السلوك غير السوى بين الأطفال مثل : الغيرة والأنانية والخوف ، وعدم الاتزان الانفعالى ، وجميع الأنواع السلوكية التى تدل على عدم توافر الأمن النفسى عند الطفل ، فقد أشارت نتائج دراسة **أولسون وجيونلا** إلى :

- أن العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفراد الأسرة لها تأثير سلبى على المراهقين وإصابتهم بحالة من الاكتئاب . بينما الكفاءة فى العلاقات ، والتفاعلات الأسرية الإيجابية تقلل من نسبة الإصابة بالاكتئاب عند المراهقين ؛ لأنهم يشعرون بالأمن والراحة النفسية .

(Olsson-Gunilla, 1999)

- كما تبين أن (٥٢٪) من حالات الانتحار كان سببها إدراك المراهقين للتسلط الوالدى ، وانخفاض مستوى الدفء ، بالإضافة إلى الممارسات التربوية السالبة السائدة فى المناخ الأسرى غير السوى .

(Lai-ka-awai-Brid, 2001)

وهكذا يمكن القول : على الوالدين أن يدركوا أن مهمتهم الحقيقية تكمن فى معرفة أن ثروة الطفل النفسية ثروة وجدانية فإن لم يهيأ له الجو الملائم لإرهاف حساسيته وتغذية خياله حُيل بين شخصيته ونموها السليم .

(عبد العزيز السيد الشخص ، ٢٠٠١ ، ص ٧٥)

٢ - العلاقة بين الآباء والأبناء (المراهقين) :

ينبغى قبل **استعراض الباحثة** للعلاقة بين الوالدين والأبناء - وخاصة المراهقين - أن توضح أن هذه العلاقة هى علاقة تفاعلية تتم فى اتجاهين فيؤثر الوالدين فى الأبناء وكذلك يؤثر الأبناء فى الوالدين أى أنَّ كلاً منهما يؤثر ويتأثر بالآخر وهذا ما تشير إليه نظرية الأنساق الأسرية والتى تنظر إلى الأسرة على أنها تتكون من عوامل مرتبطة ومتشابكة تتفاعل مع بعضها البعض تفاعلاً ديناميًا .

ويؤكد ذلك **أحمد إسماعيل** (١٩٩٣) والذى أشار إلى أن الأطفال ليسوا عناصر سلبية فى عملية التنشئة ، بل على العكس فهم قوة إيجابية ، وما لديهم من استعدادات ومستويات كامنة من الطاقة التى يجلبونها إلى الأسرة تمثل عاملاً مؤثرًا فى مناخ الأسرة والعلاقة بين سلوك الوالدين وسلوكهم ، وهكذا يكون للأم دورٌ وللأب دورٌ وللطفل دورٌ ؛ لذلك لابد من دراسة الأسرة بلغة الوحدة المتفاعلة التى تتفاعل فيها خصائص السلوك لكل عضو معا ، وتحدد استجابات كل الأعضاء الآخرين . فلم تصبح التنشئة علاقة ذات اتجاه واحد حيث كان الأطفال هم نتاج أساليب تنشئة والديهم ، بل يجب النظر إلى عملية التنشئة بين الوالدين والطفل على أنها علاقة تبادلية ، فالأطفال يربون الوالدين تمامًا كما يربى الوالدين الأطفال وبذلك تكون التنشئة عملية ذات اتجاهين "Two-Way Process" .

(أحمد إسماعيل ، ١٩٩٣ ، ص ٤٨)

وتبدأ علاقة الوالدين بالطفل منذ اللحظة الأولى لميلاده ، حيث الاتصال الجسمى الذى يتم من خلال اللمس والتقبيل للطفل ، ولذلك فقد أشار "**فرويد**" إلى أن الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل تكون حاسمة فى تكوين شخصيته ، فما يُخَبَّرْه الطفل خلال هذه المرحلة المبكرة يحدد خصائص شخصيته كراشد . فأكد فرويد على أن شخصية الراشد تتشكل خصائصها الأساسية بنهاية العام الخامس من عمره .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ٤٠)

وتتمثل علاقة الطفل بوالديه فى مرحلة الطفولة المبكرة بإشباع حاجاته البيولوجية الأساسية ، لذلك يعتمد الطفل على الأم اعتمادًا كاملاً فى توفير الطعام والدفء

والراحة والنظام وسائر ألوان الرعاية مما يجعل الأم – أو من يقوم محلها – شخصًا مميزًا ، وذو مكانةٍ خاصةٍ لديه .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ٩٧)

ولا تتوقف علاقة الطفل بالأم على إشباع حاجاته البيولوجية ، ولكن تلعب الأم دورًا أخطر من ذلك وهو إشباع حاجات الطفل النفسية والاجتماعية مثل إشباع حاجة الطفل إلى الشعور بالحب والعطف والحنان اللازمين لاستقراره وأمنه النفسى ، ولذلك لا نخطئ إذا قلنا أن علاقات الطفل فى الشهور الأولى من عمره ترتبط ارتباطًا أساسيًا وتلازميًا بالأم ، ولكن بعد أن يشب الطفل ويبدأ فى إدراك البيئة المحيطة به تتسع دائرة علاقاته فلا تقتصر على الأم فقط ولكن يبدأ الطفل فى التعرف على والده وإخوته .

(رشيدة عبد الرءوف ، ١٩٩٨ ، ص ٢٠)

أما عن علاقة الطفل بالوالدين فى مرحلة الطفولة المتأخرة فتتمثل فى رغبة الطفل الشديدة فى الحصول على رضا الكبار وموافقتهم على ما يفعل بل ينصاع الطفل لأوامر وتوجيهات الكبار ويتصرف طبقًا لقواعد الأسرة وذلك بهدف الحصول على الموافقة والتأييد الوالدى .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ١٢٥)

أما فى مرحلة المراهقة – والتى هى بدون شك من أصعب المراحل التى يمر بها الإنسان – فيصل الخلاف بين الوالدين وأبنائهم إلى أشده فى المراهقة المبكرة وهى تلك المرحلة التى تمتد من (١٣-١٧ سنة) ، ولكن يرجع هذا الخلاف إلى إصرار الآباء والأمهات على معاملة أبنائهم المراهقين على أنهم مازالوا أطفال ، وعلى مطالبتهم فى الوقت نفسه بأن يتحملوا المسئولية ، وأن يسلكوا فى حياتهم مسلك الكبار ، وتتزايد هذه الخلافات والصراعات بين المراهق والوالدين عندما يعمد الآباء بحُسن نية ورغبة صادقة إلى توجيه النقد إلى أبنائهم فى سن المراهقة بصفةٍ مستمرةٍ ، مع فرض سيطرتهم بالتدخل فى شئونهم فى كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ، وذلك بدون مراعاة لتطور سن المراهق ، أو النمو المطرد ، والنضج الفكرى له ، ولكن مثل هذا التصرف يسبب أشد الاستياء للمراهق ،

فتضطرم فى نفسه عوامل الثورة ، وتتولد لديه رغبةً قويةً فى التمرد ، وتتوتر العلاقة بينه وبين والداه ، مما يؤدى فى غالب الأمر إلى الانحراف فى السلوك .

(عبد المجيد منصور ، زكريا الشربينى ، ٢٠٠٠ ، ص ٧٢)

(صلاح الدين العباسى ، (د. ت) ، ص ص ١٧-١٨)

وتُسلّمُ وجهات نظرٍ لها مكانتها فى علم النفس والاجتماع بأن الصراع بين المراهق ووالديه هو إحدى سمات مرحلة المراهقة ، إلا أن وجهات النظر قد تختلف فى تفسير طبيعة هذا الصراع والعوامل المؤدية إليه . فيرى أنصار مدرسة التحليل النفسى أن المراهق يثور على والديه لكى يحقق استقلاله ، فالمراهق يرفض طفولته بل يرفض والديه وذلك فى سعيه لتحقيق استقلاله وذاتيته الخاصة به ككائن مستقل عن من حوله ، ولكنه فى نفس الوقت مازال يحتاج إلى الحب ، والمساندة ، والحماية من الوالدين .

(إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٠ ، ص ٢٢٩)

بينما أشار مُنَظِّرون آخرون للتحليل النفسى إلى أن الآباء هم المسئولين عن ذلك الصراع ، حيث إنهم يتوقعون من أبنائهم أن يسلكوا سلوك الطاعة ولابد للأبناء أن يُجْبَرُوا على البقاء فى مركز التابع طالما أن الآباء هم الذين يتحملون الأعباء المادية والاقتصادية ، وعندما لا يجد الوالدين الاستجابة المطلوبة يكون القوة والعنف مع الأبناء .

(محمد عماد الدين إسماعيل ، ١٩٨٩ ، ص ص ٢١٥-٢١٦)

بينما أشار **إريكسون** إلى أن الصراع بين المراهق ووالديه إنما يرجع إلى ما يسمى بأزمة البحث عن الهوية ففى تلك المرحلة تختلط الأدوار التى يتطلع المراهق لاجتيازها فهو يريد أن يحقق دور الراشد المستقل عن الأسرة ، والزميل المخلص لقيم الأصدقاء ، وفى نفس الوقت الابن الطيب فى أسرته ، وهى أزمة حقيقية تواجه المراهق للتوفيق بين المتطلبات المتعارضة لهذه الأدوار . وفى بحثه هذا عن التوفيق بين التوقعات المختلفة لكل دور قد ينجح متجاوزًا أزمته ، وبالتالى مُشَكِّلاً هويته ومبادئه الشخصية والذاتية ، وهذا يتطلب ضرورة تَقَبُّلُ الوالدين لحالة التقلب وعدم الاستقرار بالنسبة لمرحلة المراهقة ودون إصرار الوالدين على دفع المراهق أو إجباره على انتهاج نفس الأساليب التى سبق أن عايشوها فى ماضيهم عندما كانوا فى مرحلة المراهقة .

(هنرى ماير ، ١٩٩٢ ، ص ص ٢١٦-٢١٨)

بينما نظر بعض علماء الاجتماع إلى الصراع بين الآباء والأبناء على أساس أنه ظاهرة اجتماعية حيث يعتقد البعض أن وجود فجوة جيلية – بين جيل الآباء والأبناء – أمر حتمى فى مجتمع سريع التغير ، فالآباء ينشئون أبناءهم بناءًا على خبرتهم ولكن هذه الخبرة سرعان ما تصبح شيئًا عفا عليه الزمان ؛ ولذا فإن الفجوة الجيلية ليست فقط مشكلة تواصل أو تَفَهُّم وإنما هى نتيجةً لشعور الجيل الجديد بأن حكمة الجيل القديم قد أصبحت لا تتمشى مع مطالب العصر فضلاً عن مطالب المستقبل .

(رجب على شعبان ، ١٩٨٩ ، ص ٤٩)

ولكن ينتهى الصراع بين الآباء والأبناء المراهقين بقدوم مرحلة المراهقة المتأخرة ، حيث تتحول علاقات الآباء بأبنائهم من النزاع إلى الوفاق ، وذلك عندما يصل عمر المراهق إلى ٢١ سنة – أى أوائل سن الرشد – وذلك عندما يدرك الآباء أن أبناءهم المراهقين قد اقتربوا من الرشد ولهم حقوقهم كما أن عليهم أن يتحملوا بحقٍ واجبات هذه الحقوق من مسئوليةٍ وسلوكٍ متزنٍ جادٍ وعاقلٍ ورصينٍ ، وعندما يغير الآباء موقفهم من أبنائهم يسود البيت وفاق وهدوء بعد أن كان ميدانًا للنزاع والخلاف .

(فؤاد البهى السيد ، ١٩٩٨ ، ص ٢٨٤)

٣ – العلاقات بين الأخوة :

على الرغم من أن شخصية كل من الوالدين وسلوكهما نحو الطفل له أهمية أولية وأساسية فى تشكيل نموه ، إلا أنه للعلاقات بين الأخوة دورٌ هامٌ فى نمو شخصية الطفل كذلك ، ويقصد بها تلك الأساليب السلوكية المتبادلة بين الأخوة أثناء تفاعلهم فى المواقف الحياتية المختلفة فالعلاقة بين الأخوة تتوقف على معاملة الوالدين للأبناء ، فكلما حاول الوالدان اتباع أسلوب المساواة فى معاملة الأبناء وعدم تفضيل طفلٍ على آخر كانت هناك فرصة أمام الطفل كى ينمو نموًا نفسيًا سليمًا .

(عبد العزيز الشخص ، ٢٠٠١ ، ص ٧٥)

"ويتمتع الطفل الذى يعيش فى أسرة كبيرة بها إخوة بامتيازات كثيرة يُحرَم منها الطفل الوحيد ، فالطفل الذى له إخوة يتمتع بصداقة ، وعطفٍ ، وصحبة إخوته ويشعر بسعادة لتمتعه بهذا الحب ، فيجد فى إخوته رفقاء اللعب الذى يسعد الصغير أكبر سعادة ،

ويجد فيهم إخوة تؤنس وحدته ، وذلك بعكس الطفل الوحيد الذى يفتقد لرفقاء اللعب طول اليوم فى محيط الأسرة ، وافتقاده لهم كثيرًا ما يسبب له القلق وعدم الاستقرار ، كذلك يتمتع الطفل فى صحبة إخوته برفقاء يتقاربون معه فى السن . ويعتبر هذا بمثابة الفرصة التى لا تعوض لتعويد الطفل على أنماط هامة من السلوك الاجتماعى ، وهذا يساعد الطفل أكبر مساعدة على تكيفه مع المجتمع الكبير خارج الأسرة ، علاوة على ذلك فإن الصغير يجد نفسه منطلقًا بين إخوته انطلاقًا لا يتوافر له إذا كان باستمرار فى صحبة والديه فينطلق فى حديثه وفى أعماله وتفكيره ولا يجد بينهم من يخشى نقده أو أوامره ولا يخفى علينا ما لهذا الانطلاق من أثرٍ على صحته النفسية لأنه ينفس عن كثير مما يشعر به من توتر نتيجة لضغط عالم الواقع ووقوفه فى سبيل تحقيق مطالبه ورغباته" .

(رمزية الغريب ، ١٩٦٧ ، ص ص ١٢٢-١٢٥)

"وبما أن العلاقات المتبادلة بين الأخوة داخل الأسرة الواحدة تتميز بدرجة كبيرة من الأهمية فنمو الطفل يتأثر إلى حدٍ ما بوجود أخٍ أو أختٍ وكذلك بفارق العمر بينهم وبجنس هؤلاء الأخوة . فالتفاعلات بين الأخوة من نفس الجنس كانت أكثر إيجابية من التفاعلات بين الأخوة المختلفين فى الجنس . وتُعْتَبَرُ الأخوة نماذج يسهل الاتصال بها وتبعث فى نفس الطفل الراحة والأمن وخاصة فى وجود الغرباء . بينما يمثل الوالدان نماذج بعيدة نسبيًا بسبب فرق السن والجنس وبعض الصعوبات التى يمكن أن تظهر خلال الاتصال معهم ، وفى حين يَعْتَبِرُ الأخوة الكبار آباءهم هم المصدر الرئيسى لتعليمهم الاجتماعى فى الأسرة ويتخذونهم كنماذج لهم يتخذ الأخوة الصغار كلا من الوالدين والأخوة كنماذج ومعلمين . كذلك تتأثر العلاقات الأخوية بالسمات المزاجية أو الشخصية لكل أخ فقد وجد "**برودى**" وزملائه أن الأطفال الذين يتسمون بفاعلية ونشاط مرتفع يصدرون أشكالا من السلوك تتسم بالخلاف المستمر والشجار مع إخوتهم . واتفق "**كونجر ودون كيندر**" على أن للإخوة تفاعلهم الذى يتميز بالمشاركة ، والتعاون ، والمشاعر الوجدانية ، كما يلعب الأخوة دورًا هامًا فى نمو دور الجنس عند إخوتهم الصغار بشكل يختلف عن ذلك الدور الذى تلعبه الأم أو الأب بالنسبة لأطفالهما فالأطفال ذوى الترتيب الثانى يميلون إلى أن يكونوا متشابهين مع أخواتهم الأكبر سواء كانوا إناثًا أو ذكورا . كذلك تظهر بين الأخوة استجابات تعتبر صحية وسليمة وهى المنافسة والاختلاف بين وجهات النظر وتسمح هذه الاستجابات بشكل طبيعى بتزويد الابن بالخبرات التى يستطيع من خلالها أن

يكتشف قدراته ومهاراته التى سيواجه بها النشاطات الاجتماعية خارج الأسرة . أما العلاقات الأخوية المضطربة والتى يسودها الغيرة والخلاف فلابد أن تؤثر على العلاقات الأسرية الأخرى من جهة وعلى الفرد وعلاقاته الاجتماعية خارج أسرته من جهة أخرى" .

(رجب على شعبان ، ١٩٨٩ ، ص ٤١-٤٣)

ويكشف لنا العرض السابق – والذى يشمل فى أجزائه مجموعة من العلاقات الأسرية التبادلية مَدى تَشَعُّب وتَعَقُّد دراسة التفاعلات الأسرية والمؤثرات فى تلك العلاقات ، بحيث يصعب تحديدها ، ودرجة تأثير كل منها ، وتشابك تلك العلاقات تجعل من محاولة دراسة علاقة بمعزل عن العلاقات الأخرى دراسةً غير ذات جدوى ، وحتى محاولة جمع الأجزاء لا تقدم لنا الصورة الصحيحة للوضع العام فالكل يختلف عن مجموع الأجزاء ، وهذا ما تؤكد عليه نظرية الأنساق الأسرية من حيث إن الكل لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة أجزائه فى علاقتها بعضها ببعض وفى علاقتها بالعملية الكلية للأداء .

وبعد **عرض الباحثة** للعلاقات الثنائية بين الوالدين – من جهة – وبين الوالدين والأبناء – من جهة أخرى – وكذلك العلاقات بين الأخوة . سوف تستعرض الباحثة المراحل التاريخية لتطور فكرة النسق وتطبيق نظرية الأنساق على الأسرة وذلك حتى يتضح نواحى الاختلاف والتشابه بين هذه النظرية التى نظرت إلى الأسرة على أنها تتكون من عوامل مرتبطة ومتشابكة تتفاعل وتتحد مع بعضها البعض تفاعلاً ديناميًا بحيث يتفاعل كل فرد مع الآخر ، ويؤثر فيه ، ويتأثر به مكونين بذلك الخصائص المميزة للمناخ الأسرى أو النسق الأسرى .

وبين المراحل السابقة على ظهور نظرية النسق الأسرى التى نظرت إلى الأسرة على أنها ذات متغيرات منفصلة ، وهى بذلك تجاهلت التعدد الطبيعى لمتغيرات الأسرة وتفاعلاتها ، لذلك فكانت نظرتها للأسرة نظرة أحادية .

رابعًا : تطور دراسة تأثير الأسرة على شخصية الأبناء

١ – الأسرة والتنشئة الاجتماعية :

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتحول من خلالها الوليد من مستوى الكائن البيولوجى إلى مستوى المواطن أو العضو فى الجماعة . فالتنشئة

الاجتماعية تحَوِّلُ استعدادات الفرد إلى قدرات أى من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل ويتم هذا التحول من خلال أوساط أو وكالات معينة وهى : الأسرة ، والمدرسة وجماعة الرفاق ، وبقية المؤسسات الاجتماعية الأخرى .

(علاء كفافى ، ١٩٨٩ ، ص ١٤)

وللتنشئة الاجتماعية سمات وخصائص كثيرة يتحدد منها أهمية الدور الذى تقوم به هذه العملية:

- التنشئة الاجتماعية هى عملية اجتماعية قائمة على التفاعل بينها وبين مكونات البناء الاجتماعى .
- التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة حيث إن المشاركة المستمرة فى مواقف جديدة تتطلب تنشئة مستمرة يقوم بها الفرد بنفسه ولنفسه حتى يتمكن من مقابلة المتطلبات الجديدة للتفاعل وعملياته ، والتى لا نهاية لها مما يترتب عليه ألا تكتمل التنشئة الاجتماعية على الإطلاق ولا تبقى الشخصية ثابتة .
- التنشئة الاجتماعية هى عملية إنسانية واجتماعية يكتسب الفرد من خلالها طبيعته الإنسانية التى لا تولد معه ، ولكنها تنمو خلال المواقف عندما يشارك الآخرين فى تجارب الحياة فى المجتمع .
- التنشئة الاجتماعية هى عملية تلقائية وتحدث فى الأسر أولاً ولذا يجب أن تصبح هذه العملية موجهة على أسس عملية سليمة حتى يمكن إكساب الطفل خصائص المواطنة الصالحة .
- التنشئة الاجتماعية هى عملية تفاعل متبادل بين الإنسان وبيئته المحيطة به فهى تتصف بالديناميكية والحركة فهو يتأثر بها ويؤثر فيها سواء على مستوى الفرد أو الجماعة .
- عملية التنشئة الاجتماعية هى العملية التى يتم من خلالها إشباع حاجات الطفل المادية والمعنوية بما يحقق له النمو الجسمى والنفسى والاجتماعى السليم .

(ثريا عبد الرؤوف وآخرون ، ١٩٩٨ ، ص ص ٤٠-٤١)

ولقد أجمع علماء النفس والتربية على أن الأساليب التربوية التى يتبعها الوالدان فى تنشئة أطفالهما لها أكبر الأثر فى تشكيل شخصياتهم فى الكبر . فيرى **فرويد** أن الخمس سنوات الأولى من عمر الطفل هى أهم سنى حياته على الإطلاق وأن التربية فى الطفولة الأولى ابتداءً من الرضاعة هى التى تترك أعمق الآثار فى نفس الفرد ، فالكائن البشرى الصغير ينتهى صوغه وتكوينه غالبًا فى السنة الخامسة ثم يفصح تدريجيًا عن الكامن الخبيئ فى نفسه خلال السنوات التالية من حياته .

ويعتبر **فروم** أن الأسرة ومن ورائها المجتمع مسئولة عن التنشئة السليمة للفرد والصحة النفسية للفرد رهن بتوفير معاملة متوازنة مشبعة بالحب والاحترام والحنان فى الأسرة أما **السلوكيون** فيرون أن الإنسان مزودٌ باستعداداتٍ أولية تُمَثِّلُ عادةً المادة الخام لشخصيته ثم تبدأ هذه الاستعدادات فى التعديل والتطوير بناءً على مبادئ التعلم فى الأوساط التربوية ، وفى مقدمتها الأسرة حيث تتكون تنظيمات سلوكية جديدة وتتشكل الشخصية بناءً على ما يقوم من علاقات الصراع بين هذه التنظيمات السلوكية .

(علاء كفافى ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٥-٢٥)

"ولعل العامل الحاسم فى إبراز أهمية الأسرة فى تنشئة الطفل هو أن الطفل يتميز فى بواكير عمره بخصائص هامة : ولعل من أهمها العجز ، وقلة الحيلة ، والافتقار إلى الخبرة ، وعدم النضج بالإضافة إلى التهيؤ الفطرى للتعلم والمرونة ، والطواعية ، والقابلية للإيحاء ، والامتصاص ، والتشرب ، والتشكيل ، وهو ما يستوجب من القائمين على أمر تنشئته ورعايته تهيئةً بيئةً تربويةً أسريةً يمكنها استغلال هذه الخصائص واستثمار تلك القابليات بما يضمن تلبية حاجات الطفل ، وتيسير فرص النمو المتكامل لاستعداداته ، وجوانب شخصيته ، وذلك لأن الطفل الذى يفتقد الظروف والفرص اللازمة لإشباع حاجاته وتنمية استعداداته وتجنيبه التوتر والصراع والإحباط والانحراف يستحيل عليه أن يغدو شابًا سليمًا من الناحية الجسمية والنفسية" .

(عبد المطلب أمين القريطى ، ١٩٩٧ ، ص ٤٤١)

٢ - دور الأم فى تنشئة الطفل :

تبدأ علاقة الطفل بأمه منذ اللحظات الأولى من الميلاد ، وتبدأ هذه العلاقة مُشَبَّعة بالحب والأمن والطمأنينة ، وتنمو هذه المشاعر كلها بنمو الطفل وازدياد توثيق علاقته

بأمه ، ويبدأ الطفل الصغير منذ الشهور الأولى فى تكوين أولى علاقات الودّ والمحبة مع أمه ، فيشعر الطفل بالرعاية والاهتمام ، بل إنه يشعر بالأمن والاطمئنان منذ الأسابيع الأولى لولادته وذلك حين يجد نفسه محاطًا بالحنان والحب ، وحين تطل عليه أمه بوجهها العطوف لتشبع حاجته إلى الجوع ، وتخفف عنه الآلام التى يشعر بها ، لذلك فعلاقة الصغير بأمه لها تأثيرٌ لا يستهان به على تكيفه للمجتمع فى مستقبل حياته .

(رمزية غريب ، ١٩٦٧ ، ص ٥٣-٥٤)

وتحدد خبرات الطفل الأولى مع أمه طبيعة علاقته بباقى أفراد الأسرة وعلاقاته الاجتماعية خارج الأسرة ، فلها أيضًا الأهمية الكبرى فى نمو شخصيته . هذا فضلاً عن أن المُعتقد بين علماء النفس أن أساس الصحة النفسية والعقلية للطفل هى أن يمارس ألوانًا من العلاقات الدافئة الحميمة مع أمه ، وتوفير الأمومة للطفل الصغير تعنى أكثر من مجرد عدد الساعات التى يجب أن تقضيها الأم مع طفلها وإنما هى علاقة راقية يتمتع فيها كل منهما بصحبة الآخر . ويمكن أن نلخص الأمومة الناجحة فى أنها : عاطفة ، وطريقة ، ومبدأ . فالأمومة عاطفة ؛ لأن من أهم مقومات الأمومة الناجحة توفير الحب للصغير . فحاجة الصغير للحب لا تقل أهمية عن حاجته للطعام والشراب وحاجة الطفل إلى عطف ومحبة أمه على جانبٍ كبيرٍ من الأهمية لاطراد نموه العضوى والنفسى معًا ، وأن الكثير من مشكلات السلوك التى يبديها الطفل فى مستقبل حياته ترجع إلى حرمانه من الحب وهو لا يزال فى المهد .

(محمد بيومى على حسن ، ١٩٨٠ ، ص ٢٩)

فالأمومة طريقة ؛ لأن عليها أن تشبع فى الطفل الحاجة إلى المحبة والأمن فى اعتدالٍ دون تفريطٍ أو إفراطٍ حيث إن تفريط الأم فى حرمان ابنها من حبها يترتب عليه أضرارًا لا يستهان بها تعوق تكامل شخصيته وسلامة صحته النفسية . كما أن إفراط الأم فى حب طفلها وتدليله لا يقل خطرًا على صحته النفسية من التفريط فى ذلك . بل تتوقف الأمومة الصادقة على فهم الأم لطبيعة عملية النمو فتكون حساسة للأعراض التى توحى بتدخل عوامل غريبة تعوق الطفل عن اتخاذ الطريق الطبيعى المعروف ، وتكون على بَيِّنَةٍ بالخطوط العريضة التى تتبعها فلا تكثر من التدخل فى شئونه تدخلا يجعله يضيق ذرعًا

بعالم الواقع ، ويَتَبرّمُ بما تفرضه عليه من روتين وأوامر ونواهٍ ويلجأ إلى العناد والمشاغبة والانطواء والعزلة .

(رشيدة عبد الرءوف ، ١٩٩٨ ، ص ٢٢)

ومما سبق اتضح لنا أهمية الدور الذى تقوم به الأم فى إشباع حاجات الطفل الفسيولوجية والنفسية ، فالطفل الذى ينشأ محروم من عطف الأم وحنانها لا يستطيع أن ينمو وجدانيًا فى المراهقة لأنه يظل يحسّ بالحرمان والحاجة إلى العطف .

٣ - دور الأب فى تكوين شخصية الطفل :

"على الرغم من أن الأم تفوق الأب فى تأثيرها على الطفل وفى تَحَمُّلِ مسئوليةٍ أكبر فى سد حاجاته الجسمية والنفسية - وبخاصةٍ فى المراحل الأولى من حياته - فإن الأب صار فى الوقت الحديث على جانبٍ أكبر من المسئولية فى رعاية حاجات الطفل" .

(يوسف ميخائيل ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٩)

إلا أن لدور الأب قيمةً هامةً فى عملية التنشئة الاجتماعية للطفل وذلك لأن شعور الطفل تجاه محبة والده وتقديره له وعلاقته به أمرٌ له خطورته وأهميته بل إن آثاره لها خطورتها وأهميتها الكبيرة على سلوك الطفل وتكيفه وتمتعه بالأمن والاستقرار النفسى .

(رشيدة عبد الرؤوف رمضان ، ١٩٩٨ ، ص ١٤)

"وعلى الرغم من أهمية دور الأب فى تنشئة الطفل إلا أن علاقة الطفل بوالده تكون فى المرحلة المبكرة من حياته فاترةً إذا ما قيست بعلاقته بأمه . وهذا أمرٌ طبيعىٌ لأن الحب كعلاقة إنسانية بين الصغير وأمه فى السنة الأولى يكون مرتبطًا بقضاء حاجاته الفسيولوجية ، ولما كانت الأم هى التى تقضى له هذه الحاجات بينما يبتعد الأب فى العادة عن الصغير خصوصًا فى الشهور الأولى كان من الطبيعى ألا تكتمل معرفة كل منهما بالآخر فى هذه المرحلة المبكرة من حياته . على أن علاقة الصغير بوالده تبدو بصورة واضحة فى السنة الثانية وذلك عندما يبدأ الطفل الصغير فى الكلام والمشى ، وحيث تبدأ خبرته بوسط الأسرة الاجتماعى فى النمو ، فيزداد انتباهه إلى والده ويتهلل وجهه حين يراه قادمًا ويحاول اجتذابه إليه كلما اجتمع به ، ويزداد حب الطفل لأبيه وتتوثق علاقته به كلما كان هذا الأب عطوفًا ومحبًا لطفله ، وكلما زاد التقاؤه بأبيه فى أكثر من فرصةٍ وفى أكثر من وقتٍ غير أن هناك حقيقةً هامةً نؤكدها هى أنه لا تتوقف درجة معرفة الطفل بأبيه

على عدد الساعات التى يقضيها هذا الأب مع الطفل ، بل إنها تتوقف إلى حد كبير على نوع هذه الأبوة وعلى معاملته لطفله ، والطريقة التى يتعامل بها مع هذا الطفل . لذلك فالاتصال النفسى الدائم بين الطفل والأب هو أمرٌ ضروريٌ وهامٌ فعن طريق هذا الاتصال يشعر الطفل بمدى اهتمام الأب به ورعايته ، والعناية به ، لذلك يخطىء الأب كثيرًا إذا شغلته متاعب الحياة عن أسرته ، وقضى معظم وقته بعيد عن الأسرة ، تاركًا للأم الأمر وحدها ، ونظرًا لأن دور الوالد يختلف عن دور الأم – إلى حد ما – لذلك لا تستطيع الأم أن تعوض النقص الناشئ عن غياب الأب أو عدم العناية والإشراف على الأبناء" .

(رمزية الغريب ، ١٩٦٧ ، ص ص ٨٠-٨٢)

ويلعب الأب دورًا أساسيًا فى إعالة الطفل ، وقضاء حاجاته الاقتصادية ، بل يَعتَبِرُ المجتمع هذه الناحية من أهم واجبات الأب . ولقد اقتنع بعض الآباء بأن دورهم فى تربية أبنائهم هو توفير هذه الحاجات الاقتصادية لدرجة أنها طغت على واجباتهم الأخرى . وهذا اتجاه غير سليم لا يلبث أن تظهر عواقبه على نمو الأبناء .

(محمد على حسن ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٦)

وبالإضافة إلى دور الأب فى إشباع الحاجات الاقتصادية للطفل فإنه يقوم بدورٍ كبيرٍ فى عملية التصنيف الجنسى لأبنائه ، فمنه يتعلم الصغير أنماط السلوك الاجتماعى التى تميز الذكور فى المجتمع لأن وجود الأب واتصاله المباشر بابنه يجعل الأخير يعمل على تقليده بطريقة شعورية – أحيانًا – ولا شعورية – أحيانًا أخرى – خصوصًا فى سنين حياته الأولى ، فيتعلم بذلك أنماط السلوك التى يعتبرها المجتمع مناسبة ومميزة للذكور من أفراده ، ولذلك فهو يثيب هذا السلوك ويعاقب أو يعوق أنماط السلوك الاجتماعى المميزة للإناث .

(رمزية الغريب ، ١٩٦٧ ، ص ٨٣)

ولكن لغياب الأب آثار سيئةٌ – مباشرةٌ وغير مباشرةٍ – على الأبناء ، ومن العوامل الهامة والفارقة المتعلقة بغياب الأب سن الطفل وطول الفترة الغيابية ومسبباتها ، ويشير "**جرشانسكى**" وزملائه إلى أن هناك مرحلتين حرجتين خلال نمو الطفل يكون فيهما لغياب الأب – سواء بالانفصال أو الطلاق أو الموت – تأثيرٌ قويٌ على نمو الطفل وهما المرحلة الأوديبية ومرحلة المراهقة .

(علاء كفافى ، ١٩٨٧ ، ص ٣٨)

ومن العرض السابق نستخلص الدور الخطير الذى يلعبه الأب فى تربية الطفل وإشباع حاجاته النفسية والاجتماعية وبذلك لا يقل دور الأب من حيث الأهمية عن دور الأم فكلاهما مكملين لبعضهما فلا ينمو الطفل نموًا نفسيًا سليمًا إلا بوجود الأم والأب – معًا – حتى يشعر الطفل بمدى الدفء والعطف والحب فى أسرته وبالتالى انعكاس ذلك على حياته بطريقة إيجابية .

٤ – الاتجاهات الوالدية :

"والاتجاهات الوالدية هى التكوينات النفسية لدى الوالدين والأبناء نتيجةً لخبرات التفاعل بينهما وتؤثر هذه التكوينات النفسية على سلوك الوالدين والأبناء بصورة مستمرة فى مواقف الحياة المختلفة" .

(محمد المرشدى ، ١٩٩٣ ، ص ٤٩٧)

وتشير نتائج الدراسات المختلفة إلى أهمية الاتجاهات الوالدية فى تكوين شخصية الطفل فتؤثر الاتجاهات الوالدية على سلوك الطفل حيث تُطَبِّع الطفل وتعوِّدُه على القيام بسلوك معيَّن ، فإذا اتسمت الاتجاهات الوالدية بالتشجيع والتسامح والمساواة والعطف وتنمية روح الاستقلال والاعتماد على النفس ؛ فإن ذلك يؤدى إلى تعلم الطفل السلوك السليم والجاد الذى يساعد على تنمية شخصيته . أما أسلوب الحرمان ، والعقاب الصارم ، أو الحماية الزائدة ، والاتكالية ؛ قد يؤدى إلى عدم اهتمام الطفل بالسلوك السوى قدر اهتمامه بالانتقام من المجتمع والمحيطين به ومحاولة الاستمتاع بمضايقة الآخرين والنيل منهم .

(محمد المرشدى ، ١٩٩٣ ، ص ٤٩٢)

وقد أوضحت نتائج البحوث المختلفة أن الحماية الزائدة ، والتفرقة بين الأبناء فى المعاملة ، والانزواء ، والعصابية تؤدى إلى : وهن العزيمة عند الأبناء ، والافتقار إلى الصحة النفسية ، بل والاضطراب النفسى للشخصية .

(يوسف عبد الفتاح ، ١٩٨٩)

ولاحظت الباحثة من خلال عرضها للمراحل السابقة نظرتها إلى الأسرة على أنها مجرد علاقات ثنائية منفصلة ، وأن اتجاه العلاقات فى الأسرة هو اتجاهٌ أحاديٌ يتجه من الآباء ، وينتهى عند الأبناء ، وكأن الآباء يقومون بدور المُرْسِل ، وأن الأبناء هم المستقبلين ، أو أن

الآباء يقومون بدور الفاعل ، أما الطفل فيأخذ دور المفعول . أما العلاقات داخل النسق الأسرى فينظر إليها على أنها علاقات دينامية متفاعلة – وهذا عكس ما تشير إليه المراحل السابقة – لذلك يُعدُّ الاقتصار على دراسة العلاقة بين الطفل وأمه – بطريقة منفصلة – عن تفاعل : الطفل مع الأب أمرًا مضللاً ؛ لأن العامل المؤثر على شخصية الطفل هو تفاعل موقف الوالدين معًا وتفاعلهم مع المراهق وتفاعل المراهق معهم ، وكأن الأسرة منظمة ذات علاقات تفاعلية تبادلية . وبعد **استعراض الباحثة** للمراحل السابقة سوف تتناول بالعرض المناخ الأسرى غير السوى وبعض العمليات الأسرية اللاسوية ، وأثرها على شخصية المراهق .

خامسًا : المناخ الأسرى غير السوى (اضطراب المناخ الأسرى)

Abnormal Family Climate

"لقد أثبتت كثيرٌ من الدراسات النفسية ، والبحوث الاجتماعية ، أن سلوك كلٍ من الوالدين تجاه الآخر يؤثر على صحة الطفل النفسية ، والعقلية ، وأثبتت هذه البحوث أيضًا أن معظم الأطفال المشكلين يأتون من أسرٍ ومنازلٍ مفككةٍ يكثر فيها الاحتكاكات ، والخلافات بين الزوجين أكثر مما يأتون من منازل تتوفر فيها علاقات سليمة . وحينما يكون جو المنزل متوترًا بسبب اختلاف الأبوين فإن الطفل عادةً ما يكون حائرًا بين خضوعه للأب أو خضوعه للأم . وفى بعض الأحيان يتعلم الطفل أن يستخدم أحدَ الوالدين ضد الآخر ، أو يستخدم أحدُ الأبوين الطفلَ بنفس الطريقة أو قد يهمل كلا الأبوين الطفل ؛ مما يجعله يعتقد أنه غير مرغوبٍ فيه وأنه عديمُ القيمة وهو سلوكٌ يهدد أمن الطفل ، ويتركه فريسة للشك ، والوحدة مما يؤدى به إلى اضطرابات سلوكية متنوعة عند الطفل" .

(عثمان فراج ، ١٩٦٦ ، ص ١٥)

وقبل أن **تتناول الباحثة** بعض العمليات والعلاقات غير السوية داخل المناخ الأسرى المضطرب سوف تستعرض تعريف المناخ الأسرى غير السوى كالآتى :

١ – تعريف المناخ الأسرى غير السوى :

"هو المناخ الذى تسوده التفرقة والتباعد بين أفراد الأسرة لوجود خللٍ فى أداء الأسرة لوظائفها ، ويترتب على هذا عدم تمتع الأفراد بدوافع كافية للإنجاز والتفوق ،

ولا بحريةٍ فى التعبير عن الآراء ، ولا بالاهتمام بالنواحى الثقافية والعلمية والترفيهية والدينية" .

(زينب عبد الرازق غريب ، ١٩٩٣ ، ص ١٥)

وسوف **تتبنى الباحثة** تعريف **علاء كفافى (١٩٩٩)** للمناخ الأسرى غير السوى والذى عرفه بأنه : "مناخ مُولِّد للمرض أى أنه أسرة مُوَلِّدةٌ للمرض "Family Pathogenic" ، ويقوم هذا الفرض على أساس أن هناك بعض الأسر بحكم بنيتها غير السوية يفصح عن اللاسواء فى الأسرة من خلال أحد الأبناء ، وعادة ما يكون هذا الابن أكثر الأبناء تهيؤًا للإصابة بالمرض ، وقد يكون أساس هذا التهيؤ وراثة الطفل لقدرٍ أكبرَ من الاستعداد للمرض ، أو قد يكون ضعفًا فى الجهاز العصبى . إذن فالمرض طبقًا لهذا الفرض ليس مرض فردٍ ، بل هو مرض أسرة أفصحَ عن نفسه من خلال أضعف الحلقات فيها وهو الطفل الأكثر تهيؤًا للاضطراب ، ويحدث فى مناخ الأسرة المنجبة للمرض بعض العمليات والعلاقات غير السوية ، والتى من شأنها أن تُعَجِّلَ بظهور الأعراض المرضية لدى أحد الأطفال أو لدى الطفل المهيأ للمرض" .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ١٧١)

٢ - العمليات اللاسوية فى المناخ الأسرى المضطرب :

أ - اللاأنسنة : "Dehumanization"

لا أنسنة الأشخاص هى تجريدهم من صفاتهم الإنسانية ومعاملة بنى البشر وكأنهم أدوات أو أشياء ، ولذا يترجم المصطلح أحيانًا على أنه "تشيؤ" ، وعادة ما تَنْصَبُّ اللاأنسنة أو التشيؤ على الأشخاص أو العلاقات بالأشخاص والمقصود هنا معاملة الشخص كشىء وتجريده من خصائصه الإنسانية ، والنظر إليه كأداة لتحقيق أهدافٍ وليس كغاية فى حد ذاته . وكثيرًا ما يكون التملك "Possession" وراءِ هذا التوجه فى العلاقة الشيئية . فالأب الذى يحب ابنه المراهق إلى حد التملك ، بل إنه يشعر وكأنه شىءٌ تابعٌ له ، بل هو جزءٌ منه فإنه يسقط ذاته على ابنه ، بل يعيد صياغة نفسه وحياته من خلال ابنه ، وبذلك يقع المراهق فى هذا الشَرَكِ ولا يستطيع الفرار منه ؛ لأنه مقيدٌ بقيودٍ قويةٍ جدًا ، وإن كانت منسوجة من الحب والعاطفة ، وهذا المراهق لم يعد يشعر ويحسّ

ويفكر لنفسه ، بل إنه يفكر لحساب والده ، وهو يجاهد لكى يحقق أهداف والده ، ويفعل ما يريده منه .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٣٧-١٣٨)

ب - الحب المصطنع للمراهق : "Affected Love"

عندما يكون الزوجان غير ناضجين - من الناحية الانفعالية - بدرجة كافية فإنهما يؤلفان ثنائيًا لا سويًا ، وعندما ينجب هذين الزوجين فإنهما يجدان فى المراهق فرصة للتعبير عن مشاعرهما المتناقضة ، ونظرًا لأن كثيرًا من حاجاتهما النفسية غير مشبعة (الوالدان) واتزانهما النفسى والانفعالى غير مكتمل ؛ فإن المراهق فى هذه الحالة يُتَّخذ كوسيلة لتحقيق ما ينقص الوالدين ، ومن أهم ما يتعرض له المراهق من هذين الوالدين أنهما يمنحاه نمط من الحب يكتشف المراهق أنه حب مصطنع أو زائف . وعادة يطلب الوالدان من المراهق مطالبٌ كثيرةٌ ، ويُحَمِّلانه من المسئولية أكثر مما يحتمل . كما يطلبان منه الطاعة الكاملة ، والالتزام التام بقواعد الأسرة ، وتوجيهاتها بدون تفكير فى توجيه أى انتقاد لأى جانب من جوانب حياة الأسرة . وعندما يذكر أمام المراهق أنه موضع حب وتقدير يكون عليه عبءٌ مزدوجٌ يحمله على كاهله ليس فقط لأنه يشعر بأن والديه لا يحبانه الحب الخالص ، ولكن لأنه عليه أن يصدق ما يقولاه وهو غير مقتنع تماما به . ولكن يظهر لنا هنا نوعان من الأبناء : الأول هو يدرك أن حب الوالدين له حب مصطنع ، ومشروط بشروط الطاعة الكاملة ولكن يقبل الطفل هذا الحب ، ويتظاهر بأنه سعيد به وبالتالى يتعلم المراهق المراوغة لأنه يظهر بخلاف ما يبطن ، أما الطفل الثانى : فهو لا يستطيع أن يتقبل هذا الحب المزيف ؛ لذلك تجده دائمًا على استعداد للمجاهرة بهذا الحب المصطنع وهو بذلك يمثل للأسرة مصدر اضطرابٍ وقلقٍ وتوترٍ نفسى .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٤٠-١٤٢)

جـ - الأسرة المدمجة : "Merger Family"

وهى عمليات الدمج Merger أو الانصهار Fusion التى تحدث كثيرًا بين الثنائى الزوجى وأحيانًا ما تشمل الأسرة كلها . والدمج بين الزوجين يعنى تبنى كلاهما اتجاها تعلقيًا تملكيًا كل منهما نحو الآخر ، ويتضمن هذا الاتجاه رسالة يرسلها كل طرف للطرف

الآخر "إننى لا أستطيع أن أستغنى عنك وأننى لا شىء بدونك" . أما فى حالة الاندماج بين الطفل وأحد الوالدين فإنهما يكونان نسقًا فرعيًا (الطفل – الوالد) أو (الطفل – الوالدة) ويسعى هذا النسق الفرعى – وخاصة من جانب الطرف الأقوى وهو الوالد – لإبقاء النسق على حاله بينما يكون من الطبيعى أن يكبر الطفل وينمو لأنه مع النماء تكون الرغبة فى الاستقلال والانفصال عن الوالد وتكوين الشخصية المستقلة ، ولذا فإن الوالد يقاوم هذا الاتجاه بكل ما أُوتىَ من قوةٍ ، ويجاهدُ ليمنع الطفل فى اتجاه الاستقلال والانفصال ، وغالبًا ما تفشل كل محاولات الطفل المتكررة للانطلاق ، ويبأس ويستكين لأحضان العلاقة الوالدية . وقد يحدث الاندماج بين الأسرة كلها ، وفى هذه الحالة تكون الأسرة مصمتة ولو حاول أحد أفرادها أن ينفصل عنها ، فإن الأسرة كلها تقف ضده وتحاربه ، لأن هذا الانفصال يهدد كيان النسق الأسرى ويجعله ينهار .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٤٣-١٤٤)

د – المناخ الوجدانى غير السوى : "Abnormal Affective Climate"

وهو ذلك المناخ الذى يسود فيه نوع من التناقض بين ما يبدو على السطح وما يحدث فى الداخل ، فما يبدو على السطح يوحى بالهدوء والثبات والاستقرار ، ولكن هذا الهدوء لا يقوم على أسس قوية داخل الأسرة وعلى نوعية العلاقات بين أفرادها ، ولذا هو هدوء وثبات يتسمان بالركود ، كما ينتشر فى جو الأسرة نوعًا من الموت الوجدانى وهو جو يصبغ المعاملات بين أفراد الأسرة بصبغة اكتئابية تتسم بالحد الأدنى من التلقائية والحيوية والحركة الحرة ، ولأن الهدوء ظاهرى ومصطنع فإنه يحدث – من آن لآخر – أن تمزقه بعض الثورات الانفعالية العنيفة التى تبدأ من حادثٍ صغيرٍ تافهٍ ، ولكنها سرعان ما تجتاح الأسرة كلها ، وينقلب الهدوء إلى إثارةٍ غامرةٍ وذعرٍ شديدٍ ، وكما هبت الثورة فجأة فإنها تنطفئ فجأة ، وكأن شيئًا لم يحدث ولا يتغير شىء فى الأسرة وأسلوب حياتها .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ١٦٠)

هـ – جمود الأدوار فى الأسرة :

فى بعض الأسر تكون أدوار الفاعل والمفعول به متمايزة بوضوح ، ولكنها غير تبادلية بمعنى : أن الشخص الذى يقوم بدور الفاعل يظل يمارس سلوك هذا الدور وكذلك

الشخص الذى يقوم بدور المفعول به ولا يسمح – خاصة – لصاحب دور المفعول به أن يكون فاعلاً أبدًا ؛ لأن الشخص الفاعل يمنعه من ذلك . والعادة أن يقوم أحد الوالدين بدور الفاعل بينما يقوم أحد الأطفال بدور المفعول به ، وعلى الطفل أن يبذل كل جهدٍ ليؤدى هذا الدور بإخلاصٍ ليبقى الطفل النموذجى عند والديه ، وحتى فى حدود هذا الدور الموصوف والمعين فإنه ينتظر الأوامر لينفذ ويطيع ، فهو لا يستطيع أن يكون مبادرًا وإذا ما ثار الطفل ضد دور المفعول به المحدد ، فإن العلاقة بينه وبين هذا الوالد تتوتر وتنعكس إلى صورةٍ من التجاهل والإنكار والتى يهمل فيها سلوك الطفل الحقيقى ، ويعامل الطفل وكأن الخطأ الذى ارتكبه لم يحدث وسيتغاضى عنه الوالد .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ص ١٤٥-١٤٦)

المنطلق الثانى

المراهـــقـــة

من المعروف أن فترة المراهقة لا تُعَدُّ من الفترات السعيدة فى حيـاة الإنسـان فهـى فترة عدم الاستقرار ، وعدم التأكد ، والشك فى الذات ، والمعاناة ، والآلام ، والاهتمامـات ، والانشغالات الخاصة ، والصراعات الاجتماعية ، وعدم الاتفاق والتناقض العاطفى .

(كاميليا عبد الفتاح ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥)

ولقد صـور **ستانلى هـول "Hall"** مرحلـة المراهقـة بأنهـا : مرحلـة انتقـال بيـن الطفولة والرشد ، وأنها : مرحلة تتصف بـالعواصف والتوتـر حيث الصـراع بيـن الأنانيـة والمثاليـة ، والحـب والكراهيـة ، واعتبرهـا فـترة ميـلادٍ جديـدةٍ ، واعتـبر هـذه العواصـف والضغوط عامة فى الجنس البشرى وهو بذلك يتجاهل دور المؤثرات الثقافية والاجتماعية فى النمو نظـرًا لأنـه يـرى أن الإنسـان يَـرِثُ خصائصـه ، وصفاتـه المكتسبة ، كمـا يـرث خصائصه البيولوجية . كما ترجع هذه العموميـة إلـى أن الإنسـان كلمـا اقـترب مـن مفهـوم الجسد كان التشابه هو السائد بينما الاتجاه نحو النفس يدفع إلى الاختلاف .

(هدى قناوى ، ١٩٩٢ ، ص ص ١٥-١٦)

"بينما ترى **أنا فرويد** أنه من الطبيعى أن يسلك المراهـق بصـورة غـير متفقـة ولا يمكن التنبؤ بها فهو يحارب دوافعه ويتقبلها ، يحب والديه ويكرههم ، يخجل بشدة من تقديم والدته للآخرين فى الوقت الذى يحب بشـدة الحديـث إليهـا ، يقلد ويتوحـد بـالآخرين بينمـا يبحث فى نفس الوقت عن ذاتيته ، يكون مثاليًا فنانًا كريمًا غـير أنـانيٍ ، وفـى نفس الوقـت نجد النقيض من ذلك فهو متمركزٌ حول ذاته أنانىٌ بخيـلٌ ، وهـذه التذبذبـات بيـن النقيضيـن يمكن أن تعتبر غير سوية فى مرحلة عمرية أخرى ، أما فى هذه المرحلة فإنهـا تـدل علـى أن بناءً راشدًا قد بدأ يتفتح" .

(كاميليا عبد الفتاح ، ١٩٨٠ ، ص ٢٥)

وتؤكد **روث بندكت** على أن مرحلة المراهقـة هـى فـترة انتقـال مـن الطفولـة حيـث الاعتمـاد علـى الآخريـن صـوب المراهقـة ، والاسـتقلال النسـبى ، وأن فـترة الانتقـال هـذه

تختلف من مجتمعٍ لآخرٍ باختلاف الكيفية التى يتم بها هذا الانتقال ، فقد يكون الانتقال هادئا فى مجتمع ما مثل جزيرة "ساموا" وغير هادئٍ فى مجتمعات أخرى ، خاصة تلك التى تضع قيودًا كثيرةً على سلوك الأطفال والمراهقين مثل درجات القيود على ممارسة الإشباع الجنسى . وتؤكد بندكت على أن الاختلاف بين ثقافة مجتمع وآخر ينتج عنه إما تشابه أدوار الطفل والراشد ، أو الاختلاف بين دور كل منهما ، وأن التنشئة الثقافية السليمة هى التى تجعل الانتقال من الطفولة إلى المراهقة والرشد أمرًا سهلاً وميسورًا .

(إبراهيم قشقوش ، ١٩٨٠ ، ص ٨٢)

ولكن اختلف كثيرٌ من الباحثين حول تحديد بداية ونهاية مرحلة المراهقة ، ولكن كان الاختلاف بين الباحثين فى تحديد نهاية المراهقة أكبر من الاختلاف فى تحديد بدايتها ، وذلك لأن بدايتها تتميز بتغيرات فسيولوجية ملحوظة وهى البلوغ الجنسى وما يرافقه من تغيرات معروفة . أما نهاية المراهقة فليست هناك معالم واضحة كما فى بدايتها ، وإنما يعتمد ذلك على ما أمكن أن يحققه المراهق من نضجٍ واستقلالٍ ، وهذا الاستقلال يعتمد إلى حدٍ كبيرٍ على ما يمكن أن يوفره المجتمع لهذه الفئة .

(عمر بن عبد الرحمن المقدى ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٧)

أولاً : تعريف المراهقة : "Adolescence"

"والمراهقة هى فترة الحياة الواقعة بين البلوغ والنضج وأنها تقع بالتقريب فيما بين سن عشر سنوات وتسع عشرة سنة ، وتتميز بتغيرات جسمية ونفسية ملحوظة فيجيء الحيض للبنت بانتظام كما يظهر ارتفاع ثدييها ويستدير جسمها بوجه عام ، أما الولد فإنه يصبح قادر على القذف المنوى ، كما ينجم عن تضخم صندوقه الصوتى خشونة فى صوته ، ويصير أفراد كلا الجنسين أكثر إحساسٍ بالخجل الذى يشتد بسبب ما يلقونه من صعاب فى السيطرة على ما لم يعتادوه فى أجسامهم وأصواتهم" .

(ماكدونالد لادل ، ١٩٧١ ، ص ٧)

"والمراهقة تعنى أيضًا المقاربة . فراهقته أى أدركته وأرهقته تعنى دانيته ورهقت الصلاة تعنى دخل وقتها فراهق الشيء أى قاربه . وراهق البلوغ أى قارب سن البلوغ ،

وراهق الغلام معناه قارب الحلم ، وصبى مراهق معناها دان للحلم والحلم هو القدرة على إنجاب النسل .

(الزمخشرى ، ١٩٧٢ ، ص ٣٣٠)

وعرَّفها **صلاح مخيمر** (١٩٨٦) بأنها "هى فى واقع الأمر ميلاد للكائن البشرى ميلاده النفسى والجسمى كذات فريدة تعى لأول مرة وجودها الملىء فى عالم اكتملت له أبعاده . والمراهقة ليست لها وقت محدد ، أو لحظات بعينها ، ولكنها عملية مفتوحة ينتقل فيها المراهق من محاولة توكيد ذاته بالأسلوب السالب – عن طريق التناقض مع الآخرين – إلى الأسلوب الموجب الذى يعبر عن الإمكانيات الحقيقية الداخلية للفرد" .

(صلاح مخيمر ، ١٩٨٦ ، ص ٨)

ويرى **كمال الدسوقى** (١٩٩١) أن المراهقة هى "الفترة فى النمو الإنسانى التى بين بداية البلوغ والوصول للرشد وهى من سن (١٢-٢١ عام للبنات) إذ ينضجن أسبق من الأولاد وحوالى (١٣-٢٢ عام للذكور) بل هى فترة الحياة من بداية البلوغ حتى تحقيق اكتمال الرشد . وهى الفترة التى أثنائها تتعقد الضغوط الاجتماعية نظرًا لتعقد المدنية ، مما يجعل علماء النفس الاجتماعيين يعتبرون المراهقة هى نتاج للضغوط فى المجتمع ، لا مجرد فترةٍ فريدةٍ من الشد والتوتر البيولوجى .

(كمال الدسوقى ، ١٩٩١ ، ص ٦١)

بينما عرَّف **أحمد عزت راجح** (١٩٩٩) المراهقة بأنها "هى المرحلة التى تبدأ من البلوغ وهو سن القدرة على الإنجاب وتنتهى فى مجتمعنا حوالى ٢٤ سنة وتختلف بداية المرحلة وطولها باختلاف الشعوب والجماعات" .

(أحمد عزت راجح ، ١٩٩٩ ، ص ٦٢٩)

وسوف تتبنى الباحثة تعريف علاء كفافى للمراهقة والذى عرَّف فيه المراهقة بأنها : "هى المرحلة التى يعبرها الطفل كى ينتقل من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد ليصير راشدًا ناضجًا سواء كان رجلا أم امرأةً وتمتد هذه المرحلة طوال العقد الثانى – تقريبًا – من عمر الفرد فهى تبدأ بحدوث البلوغ وتنتهى بالوصول إلى الرشد" .

(علاء كفافى ، ١٩٩٧ ، ص ٤١٤)

- تحليل وتعقيب الباحثة على التعريفات السابقة :

ولاحظت الباحثة من خلال عرضها للتعريفات السابقة ما يلى :

- جميع العلماء اتفقوا على تحديد بداية مرحلة المراهقة ، وذلك من خلال حدوث البلوغ الجنسى والقدرة على التناسل والإنجاب ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد نهاية هذه المرحلة فبعضهم يقول إنها تنتهى عند سن (٢٢) للذكور ، (٢١) للإناث والبعض الآخر يرى أنها تنتهى عند سن (٢٤) للذكور ، (٢٣) للإناث ، أى أن العلماء على اختلاف توجهاتهم حاولوا وضع مدى زمنى محدد لبداية ونهاية المراهقة .
- اختلف العلماء فى تحديد علامات نهاية مرحلة المراهقة فمنهم من يقول إنها تتحقق باكتمال النمو الجنسى والجسمى للفرد ، ومنهم من يقول إنها تنتهى باكتمال النضج العقلى حيث تكتمل جميع القدرات العقلية لدى الفرد . ومنهم من يقول إنها تنتهى باكتمال النضج الانفعالى حيث يكون المراهق قادرًا على ضبط انفعالاته وتوجيهها فى الطريق الصحيح ، ومنهم من يقول إنها تنتهى باكتمال النضج الاجتماعى حيث قدرة الفرد على حل مشكلاته بذاته بينما أشار البعض إلى أنها تنتهى بقدرة الفرد على الاستقلال الاقتصادى عن أسرته وتحمل الأعباء المالية .
- تختلف بداية مرحلة المراهقة ونهايتها وطولها باختلاف الشعوب والجماعات الأخرى فقد تطول عند البعض وقد تقصر عند البعض الآخر .
- مرحلة المراهقة فى بدايتها ظاهرة بيولوجية جسمية ، وفى نهايتها ظاهرة اجتماعية .
- لا تعتبر فترة المراهقة فترة توترات وضغوط بيولوجية بقدر ما تعتبر فترة ضغوط اجتماعية ، وذلك نظرًا لنظرة الناس إلى المراهق على أنه مازال طفلاً فى حين أن نموه الجسمى والجنسى يجعله يتصرف كالكبار ويلبس مثلهم ويصبح له رأى مثلهم ، ولذلك فالمراهقة هى نتاج لضغوط المجتمع لا مجرد فترةٍ فريدةٍ من الشد والتوتر البيولوجى .

ثانيًا : المراهق والأسرة

يؤكد "**إريكسون**" أن الصراع بين المراهق ووالديه إنما يرجع إلى ما يُعْرَفُ بأزمة البحث عن الهوية ، فعندما يدرك المراهق أنَّ له شخصيةً فريدةً ذات خصائص متميزةٍ ،

يأخذ فى خلع رداء التعلق الطفلى وفى التخلص من عادة التقبل السريع لأحكام أبيه أو أمه (كما يحدث فى الطفولة المتأخرة) ، إذ أن من خصائص النمو السوى للكائن الإنسانى نضاله من أجل الاستقلال الذاتى والتخلص من التواكل على الأبوين واكتساب وسائل جديدة لتحقيق ذلك . ولهذا فإن المراهق الذى يُسرف فى الاعتداء فى المدرسة يكون فى بعض الأحيان قد شبّ فى صغره بين أبوين صارمين يميلان إلى الاستبداد والتسلط فلم يتيحا له المجال لتأكيد استقلاله ، ومن ثمَّ اتخذ من المدرسة مسرحًا للتعبير عما حُرِمَ منه فى البيت ، وهكذا يعرقل الإصرار على الامتثال والطاعة العمياء . ونضال المراهق فى سبيل النمو يدفعه إلى التمرد والتحدى والسلوك المناهض للمجتمع فى علاقاته بالآخرين . كما يؤدى من ناحية أخرى إلى وسم استجاباته بالخوف من كل أنواع السيطرة ، والتنازل عن رغبته فى الاستقلال ، والاستسلام للانهزامية ، ومشاعر الذنب ، والقلق والاضطرابات العصابية ، ويعتبر الجدال والتمرد من الأعراض السيئة التى تعوق جهود المراهق فى سبيل التخلص من تواكل الطفولة ، ولكنهما مع ذلك من العلاقات العادية النافعة فالاحتجاج على قرارات الأب وعدم الامتثال الأعمى للسلطة من الوسائل التى يعلن بها المراهق عن نموه ، وعن رغبته فى نزع قيد الاعتماد على الغير عن كاهله ، ورغبته فى التفكير بنفسه والوقوف على قدميه .

(مصطفى فهمى ، ١٩٦٧ ، ص ٣٧٣)

وفى الوقت الذى يريد فيه المراهق أن يستقل عن الوالدين يجد نفسه أنه ما زال فى حاجةٍ إليهما انفعاليًا وماديًا ، وقد يترتب على ذلك صراع وتعارض بين الحاجات المختلفة (الحاجة إلى الاتصال – الحاجة إلى الانفصال) ، ويؤدى ذلك إلى فقد المراهق السيطرة على سلوكه ، بل وإلى المبالغة فى الثورة على الأبوين – بصفة خاصة – وكل مظاهر السلطة – بصفة عامة – ولكى ينجح الآباء فى تقريب المسافة بينهم وبين الأبناء المراهقين فيجب أن يفهموا طبيعة المرحلة التى يمر بها المراهقين والعمل على تحاشى أسباب الخلاف ودواعيه ، وألا ينزعج الآباء من هذه النزعة إلى الاستقلال ، والاعتماد على النفس لدى المراهقين ، بل يجب عليهم تشجيعها حيث إنه من الضرورى أن يتدرب المراهق خلال هذه الفترة من عمره على تَحَمُّلِ المسئوليات ، وعلى القيام بالأدوار التى سوف يتقلدها فى المستقبل ، بل ينبغى على كل من يتصل بالمراهق أو يتعامل معه فى البيت أو فى المدرسة أن يدركوا أن النزعة إلى الاستقلال والتحرر ، والاعتماد على

النفس ، ومواجهة المواقف والمشكلات ، نزعةً طيبةً لها نتائج إيجابية ، وليست عصيانًا أو استهتارًا كما قد يظن البعض .

(حامد عبد العزيز الفقى ، ١٩٧٥ ، ص ص ٢٧٤-٢٧٥)

وقبل أن **تستعرض الباحثة** العوامل التى تؤثر فى إشباع الحاجات النفسية عند الأبناء المراهقين سوف تتناول الباحثة بالدراسة دور الأسرة – أولاً – فى إشباع هذه الحاجات .

ثالثًا : الأسرة وإشباع الحاجات النفسية للأبناء المراهقين

الأسرة هى الجماعة الأولية المسئولة – شرعيًا وقانونيًا واجتماعيًا – عن رعاية أبنائها ، وإشباع حاجاتهم الأساسية والثانوية . والمناخ الأسرى السوى (الصحى) يعمل على إشباع حاجات الأبناء بطريقة سوية دون إفراط أو تفريط وبشكل متوازن حسب أولوية الحاجات وأهميتها لكل مرحلة نمائية ، بينما المناخ الأسرى غير السوى (المرضى) يعمل على سوء إشباع الحاجات النفسية للأبناء أو إحباطها بشكل يدفع الأبناء إلى القلق والتوتر والاندفاع نحو السلوك السلبى المنحرف .

(محمد بيومى خليل ، ٢٠٠٠ ، ص ص ١٤-١٦)

وسوف **تستعرض الباحثة** لأهم الحاجات النفسية فى مرحلة المراهقة ودور الأسرة فى إشباعها :

١ – الأسرة وإشباع حاجة المراهق إلى الأمن النفسى :

"يشعر المراهق فى حماية والديه بالأمن على حياته ووجوده ضد أى أخطار يشعر أنها تهدده كما يستمد المراهق استقراره النفسى من خلال الجو الأسرى والعلاقات الطيبة التى تسود بين الأم والأب حيث ينعكس سلام المنزل وتمتد ظلاله الوارفة لتحمى حياة المراهق من لفحات المشكلات التى تواجهه خارج المنزل ، ولكن هناك من الآباء والأمهات من ينبذون أبناءهم فى هذه المرحلة الحرجة نبذًا صريحًا أو مُضمرًا بالقول أو الفعل ، وتكون نتيجة ذلك افتقاد المراهق للإحساس بالأمن وتنمية روح العدوان ، والرغبة فى الانتقام وزيادة

حساسيته فى المواقف ليصبح عنيدًا أنانيًا قلقًا منبوذًا من زملائه . لذلك تلعب العلاقات الأسرية دورًا هامًا فى إشباع الأمن النفسى للمراهق وينطبق هذا – ليس فقط – على علاقة كل من الأب والأم بالابن المراهق ، بل أيضًا على علاقة المراهق بإخوته والأقارب الملتصقين به وتعتبر كذلك القيم والمبادئ الثابتة غير المتغيرة سواء كانت تميل إلى المرونة أم لا العامل المساعد للابن المراهق للإحساس بالأمن بتزويده بإطار واضح المعالم ؛ ولذلك فتوفير الأمن والاستقرار النفسى للابن المراهق ضرورة هامة لضمان تقدم الابن فى مراحل النمو المختلفة . أما فقدان الأمن فيؤدى إلى الخوف والقلق وعدم الاستقرار بل وكراهية السبب فى فقدان الأمن وتوجيه النزعات العدوانية إليه" .

(كلير فهيم ، ١٩٨٩ ، ص ص ٤٧-٤٩)

٢ – الأسرة وإشباع حاجة المراهق للحب :

تختلف طبيعة الحاجة إلى الحب فى مرحلة الطفولة عنها فى مرحلة المراهقة ، وتتخذ الحاجة إلى الحب فى مرحلة المراهقة ثلاثة مظاهر : • أريد أن يحبنى الآخرون ، • أريد أن أحب الآخرين حبًا صحيحًا وعميقًا ، • أريد أن أحب نفسى . والحاجة إلى الحب فى المراهقة تعتبر شيئًا أساسيًا بالنسبة لصحة المراهق النفسية وهى السبيل إلى شعور المراهق بالإعجاب والتقبل الاجتماعى ، ولكى يكون شعور المراهق بهذه المشاعر صحيحًا ؛ يجب أن يُعترف له بهذا الحب ويجب أن يتأكد ذلك فى كل مجال من المجالات التى يتحرك فيها المراهق ، والحب كذلك يجب أن يُتَرْجَمَ إلى أعمالٍ وعباراتٍ يتأكد منها المراهق أنه موضع حب وتقدير .

(مصطفى فهمى ، ١٩٦٣ ، ص ٤٦)

فالفتى المراهق الذى يحظى بعطف الوالدين أقدر من نظيره الذى يفتقد ذلك الحب على مواجهة مطالب الحياة خارج المنزل ، ولكن هذا الحب الذى يقدمه الوالدان للمراهق فى المنزل ليس ضمانًا كافيًا لنجاحه فى حياته ، بل ينبغى أن يكون عطفا وحبًا مستنيرًا وواعيًا أى الحب الذى يساعد على نمو الثقة بالنفس ، ويخلق فى الفرد إحساسه الطيب نحو نفسه ، ويؤدى إلى الشعور والرغبة الصادقة فى أن يحاول ويغامر فى حياته بدون خوفٍ من نتيجة الفشل ، وهذا النوع من الحب هام وضرورى للمراهق ولاسيما فى هذه المرحلة

الحرجة من حياته ، وينبغى على الآباء منحه للابن المراهق فى هذه الفترة ، أما فشل الآباء فى إقناع الابن المراهق بأن هذا النوع من الحب المستتير هو إحساس والديه نحوه فيكون السبب الوحيد والهام الذى يؤدى إلى انحراف شخصية الابن المراهق فى مراحل نموه القادمة وأخيرًا فإن قوة الشخصية والاتزان والثقة بالنفس إنما تنبعث من شعور المراهق بدفء الجو الذى يعيش فيه ، ومن خبرته بأنه موضع للحب والثقة بالنفس والاحترام من جانب الوالدين ، أما إذا حُرِم المراهق من هذا النوع من الحب من جانب الوالدين فإنه سرعان ما تظهر عليه أعراض الغضب والعدوان والخوف .

(كلير فهيم ، ١٩٨٩ ، ص ص ٤٢-٤٣)

٣ - الأسرة وإشباع حاجة المراهق للانتماء :

"إن الإنسان اجتماعىٌ بطبعه ، ويؤكد علماء النفس أن الإنسان يحتاج دائمًا إلى الانتماء إلى جماعة يحسُّ بانضمامه تحت لوائها بدوره وتتأكد من خلال هذا الدور شخصيته وذاته ويكتسب مكانةً اجتماعيةً يشعر معها بالراحة والسعادة ، وأول جماعة يشعر نحوها الابن بالانتماء هى أسرته التى يقترن اسمها باسمه وتصاحبه طوال مراحل حياته" .

(كلير فهيم ، ١٩٨٩ ، ص ٤٦)

والانتماء إلى جماعة الأسرة هو حاجة من الحاجات الأساسية للنمو النفسى والاجتماعى للمراهق - خاصة فى هذه المرحلة الحرجة - إلا أنه فى بعض الأحيان يقوم بعض الآباء فى الأسرة بأنماط من السلوك تدفع الأبناء إلى الشعور بأنهم غير مرغوب فيهم بل إنهم (مهملون منبوذون) ، وكلما تكرر هذا السلوك - خاصة فى هذه المرحلة - أصبح ذا أثرٍ سيئ فى التكوين النفسى للمراهق وذلك لأنه فى هذه الفترة من فترات نموه يحتاج إلى العطف والحماية من الآباء .

(مصطفى فهمى ، ١٩٦٣ ، ص ٥٤)

"أما إذا عمل المناخ الأسرى على تدعيم المرغوبية الاجتماعية للأبناء ، لذاتهم وكذلك إذا ساد الترابط والانسجام والحرص على كيان الأسرة ، والمحبة والتفاهم بين أفرادها ، فإن ذلك سيساعد على إشباع حاجة الأبناء للانتماء ، وبالتالى سيتحقق انتماء الأبناء للمجتمع فيما

بعد ، أما إذا لم يتحقق ذلك الإشباع فى الأسرة فإن ذلك سيؤدى إلى شعور المراهق بالغربة عن الذات بل الغربة عن المجتمع" .

(محمد بيومى ، ٢٠٠٠ ، ص ١٥)

٤ - الأسرة وإشباع حاجة المراهق إلى تقدير الذات :

إن الفتى المراهق فى حاجة إلى أن يعترف به الكبار وأن يعاملوه كفرد له أهمية ؛ لذلك على الذين يتعاملون مع المراهق أن يحترموه عند نجاحه فى أى عمل يقوم به ، وينصتون إليه عندما يتكلم ويكافئونه عند قيامه بشىء يستحق المكافأة . وللأسرة دورٌ كبيرٌ فى إكساب الابن المراهق ثقته بنفسه وذلك فى حدود ما يتوفر لديه من قدرات خاصة ومميزات شخصية ، فلا يجب أن تبالغ الأسرة فى تقدير قدرات الأبناء المراهقين فتنقلب الثقة بالنفس إلى تمردٍ وغرورٍ يؤدى بالفرد إلى عدم إدراكه لقدراته الحقيقية ، ويوقع نفسه فى مأزق الغرور ويصبح مكروهًا من زملائه منبوذًا من الناس . أما جرعات الثقة بالنفس التى يتلقاها الفرد خلال تنشئته فى الأسرة تساعد على رفع مستوى طموحه والاجتهاد والمثابرة فى دراسته ، بل ينعكس ذلك بالطبع على عمله بعد تخرجه باعتباره شابًا فى مقتبل العمر .

(كلير فهيم ، ١٩٨٩ ، ص ص ٥٠-٥١)

٥ - الأسرة وإشباع حاجة المراهق إلى تحقيق الذات :

إن الحاجة إلى تحقيق الذات هى كل ما يستطيع الإنسان أن يكوّنه ، يجب أن يكوّنه حتى يصبح سعيدًا أى الحاجة إلى تحقيق الإنسان للعمل الذى يختاره بحيث يكون فى حدود قدراته وإمكانياته ، ويحاول تحقيق أهدافه فى هذا المجال . ولذا تختلف صيغة الحاجة بالنسبة لإمكانيات الفرد وتبرز الحاجة إلى تحقيق الذات بوضوح بعد إرضاء الحاجات الفسيولوجية والحاجة إلى الأمن ، الحاجة إلى الحب والانتماء والتقدير وغيرها من الحاجات الأخرى .

(مصطفى فهمى ، محمد على قطان ، ١٩٧٥ ، ص ١٧١)

ويسعى المراهق من خلال تفاعله مع المحيطين به إلى إثبات ذاته وتأكيدها ، ولذلك يجب على الأسرة أن تساعد المراهق على تحقيق ذاته ، وتأكيدها بألا تتجاهله ، أو

تتبذه ، أو ترفضه ، أو تعامله على أنه مازال طفلاً صغيرًا ، بل يجب على الأسرة أن تشبع لديه هذه الحاجة كى تنمو شخصية المراهق ويتحقق له الحاجة إلى تحقيق ذاته وتوكيدها .

(محمد الظريف سعد ، عبد الرحمن سيد سليمان ، ١٩٩٤ ، ص ١٤)

رابعًا : العوامل المؤثرة فى إشباع الحاجات النفسية للأبناء المراهقين

سوف **توضح الباحثة** بعض العوامل الهامة التى قد تؤثر فى إشباع حاجات المراهقين النفسية وهى كالآتى :

١ - العلاقات الأسرية :

"وتشمل العلاقات الأسرية مجموعةً من التفاعلات تتمثل فى العلاقات الثنائية بين الأب والأم - من جهة - وبين الوالدين والطفل - من جهة أخرى - وبين كلٍ من الأخوة والأخوات - من جهةٍ ثالثة - وإذا كانت العلاقات الثنائية بين كل عضوٍ من الأسرة والعضو الآخر متزنةً ومعتدلةً ومتسمةً بالمحبة والمودة وموفرةً لهم جميعًا الطمأنينة والأمان فى جوٍ من الرعاية الأسرية الناضجة الواعية فإن آثارها ستنعكس بالضرورة على مظاهر الأداء السلوكى لكل منهم مما يجعلهم يعيشون فى حياةٍ نفسيةٍ مستقرةٍ متميزةٍ بمشاركةٍ اجتماعيةٍ إيجابيةٍ" .

(ماهر عمر ، ١٩٩٢ ، ص ٩٧)

"أما العلاقات الأسرية غير السليمة والتى تقوم على أسلوب التسلط والتخويف ، فإنها تجعل الأبناء عديمى الثقة فيما لديهم من قدرات واستعدادات وإمكانيات عزوفين عن السعى للدخول فى أية علاقات مع رفاق السن ، وهو ما يؤدى إلى حرمان الأبناء من متعة التواصل والتفاعل مع الآخرين" .

(شوقى عبد السلام ، ١٩٨٨ ، ص ١٥٧)

٢ - حجم الأسرة :

وهو عدد الأفراد الذين تتكون منهم الأسرة فى وقت معين . ويؤثر عدد الأفراد فى الأسرة على تفاعل وسلوك الأعضاء فيها ، ولذلك فإن الأسر ذات الطفل الواحد تختلف

أنماط حياتها عن الأسرة ذات الطفلين أو الثلاثة أو الأربعة أطفال ، ويمكن النظر إلى حجم الأسرة باعتباره عاملاً محددًا لمقدار ونوعية الاتصال بين أفرادها ، حيث يؤثر فى طبيعة الاتجاهات المتبادلة تجاه كل منهما للآخر وخصائص هؤلاء الأفراد .

(سناء الخولى ، ١٩٧٩ ، ص ٣٠١)

٣ - الترتيب الميلادى للمراهق :

"قد يكون شائعًا بين الناس أن الأطفال فى الأسرة الواحدة يعيشون فى بيئةٍ نفسيةٍ واحدةٍ ولكن الأمر غير ذلك . فترتيب الأطفال فى الأسرة الواحدة يجعل لكلٍ منهم بيئةً سيكولوجيةً مختلفةً عن بيئة الطفل الآخر ، وهذا التباين يأتى من أن التفاعل بين الوالدين وخاصة بين الأم وكل ابن من أبنائها يختلف حسب موقعه بالنسبة لها ؛ فتفاعلها مع الطفل الأول ليس كتفاعلها مع الطفل الأوسط ، وتفاعلها مع الطفل الأوسط ليس كتفاعلها مع الطفل الأخير" .

(علاء كفافى ، ١٩٩٩ ، ص ١٠٠)

٤ - المستوى الاقتصادى والاجتماعى والثقافى للأسرة :

تلعب متغيرات المستوى الاجتماعى والاقتصادى والثقافى للأسرة دورًا بالغ الأهمية فى التأثير على حياة المراهق ، وأساليب تنشئته وتفاعلاته وسلوكه ، ونمو مختلف جوانب شخصيته الجسمية والانفعالية والعقلية . والبعد الاقتصادى هو ذلك البعد الذى يتحدد على أساسه حجم الإنفاق على المراهق . ومن ثم مقدرة الأسرة على تلبية حاجاته البيولوجية ومتطلبات نموه الجسمية والصحية بصفة خاصة . أما البعد الاجتماعى والثقافى وما يتصل بهما من متغيرات كنمط المسكن ، المنطقة السكنية ، الطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها أسرة المراهق ، وما يسودها من قيمٍ وتقاليدٍ وأنماط تفكيرٍ وأساليب حياةٍ ستنعكس بالضرورة على محيط الأسرة والجو الأسرى الذى ينشأ فيه المراهق بالإضافة إلى المستوى التعليمى الذى وصل إليه الوالدين والأخوة ، وطبيعة ما تمارسه أسرة المراهق من نشاطات وهوايات يتأثر بها المراهق ومدى ما توفره الأسرة من مصادر ووسائل الثقافة والأدوات والأجهزة المقروءة ، والمسموعة ، والمرئية المتعددة فى البيئة الأسرية ، فلا نستطيع أن ننكر ما لهذه الأدوات ووسائل الترفيه من دورٍ فى الإثراء العقلى والنفسى لدى المراهق وتنمية استعداداته العقلية واهتماماته المعرفية .

(عبد المطلب أمين القريطى ، ١٩٩٧ ، ص ص ٤٦٤-٤٦٥)

المنطلق الثالث

الحاجات النفسية

مقدمة :

"تُعَدُّ دراسة السلوك الإنسانى من الأهمِّيَة بحيث سُمِّى علم النفس بعلم دراسة السلوك الإنسانى ؛ على أساس أن السلوك هو كل ما يصدُر عن الإنسان من استجابات مختلفة فى مواقف الحياة المتعددة ، ولكى نفهم سلوك الإنسان فهمًا دقيقًا ؛ لابد أن نأخذ فى اعتبارنا ما يدفع الفرد إلى هذا النشاط أو السلوك . فلاشك أن سلوك الإنسان – وحتى أدنى الكائنات – سلوكًا مدفوعًا فلا يوجد سلوك بدون دافعٍ بل إن كل سلوكٍ وراءه دافع أو عدد من الدوافع لتحقيق حاجات الفرد . إذن فدوافع الفرد هى التى توجهه إلى أهدافه التى توجد فى البيئة المحيطة به والذى يؤدى الوصول إليها إلى إشباع دافعٍ معينٍ" .

(نادية محمد عبد السلام ، ١٩٨٥ ، ص ٢٠٩)

وتحاول الباحثة فى هذا الجزء دراسة ثلاثة عناصر أساسية كالتالى :

أولاً : تعريف الحاجة وبعض المصطلحات الأساسية المرتبطة بهذا التعريف مثل الدافع ، الغريزة ، الباعث ، الحافز .

ثانيًا : النظريات المفسرة للحاجة وتعقيب العلماء عليها .

ثالثًا : دراسة نظرية الحاجة عند ماسلو .

أولاً : الحاجة "Need"

"يشيع فى ميدان دراسة الدافعية مفاهيم متعددة مثل : الدافع ، الباعث ، الحاجة ، الهدف والقصد إلى غير ذلك من المفاهيم التى تُشير إلى الدافعية ، أو تتصل بها على نحو أو آخر . ورغم أن الكثير من العلماء يتقبل هذه المفاهيم كمصطلحات دافعية فى طبيعتها إلا أن الخصائص أو الوظائف التى تميز مفهوم منها عن الآخر ؛ أو تميز المفاهيم الدافعية عن غير الدافعية كما استفردتها نظريات علم النفس – عامة – والدافعية – خاصة – لم تلق بعد تحديدًا كافيًا" .

(إبراهيم قشقوش ، طلعت منصور ، ١٩٧٩ ، ص ٦)

وسوف **تقوم الباحثة** هنا بتعريف مصطلح الحاجة والتعريفات الأخرى المرتبطة به ؛ وذلك نظرًا لأن الدافع يُعَدُّ أعمّ وأشمل من الحاجة ، بالإضافة إلى أن هناك نوع من التداخل والتشابه بين هذه المصطلحات . فسوف تحاول الباحثة إزالة هذا الاختلاط حتى نعرف الفرق بين هذه التعريفات ونقاط التشابه والاختلاف بينهما .

١ - تعريف الحاجة : "Need"

يُعرّف موراى "Murray" (١٩٣٨) الحاجة بأنها : "مركب (تخيل مناسب أو مفهوم فرضى) يمثل قوةً فى منطقة المخ ، قوة تنظيم الإدراك ، التفهم ، التعقل ، النزوع ، الفعل بحيث تحول الموقف القائم غير المشبع فى اتجاهٍ معينٍ" .

(Murray, 1938, p. 123)

واتفق **نبيه إبراهيم إسماعيل** (١٩٨٩) مع **ماسلو "Maslow"** (١٩٤٣) فى تعريف الحاجة بأنها هى "استثارة داخل الكائن الحى تنزع به نحو تنظيم مجاله فيما يتعلق بمثيراتٍ أو أهدافٍ معينةٍ يستحث النشاط الموجة لتحقيقها" .

(نبيه إبراهيم إسماعيل ، ١٩٨٩ ، ص ١٠) & (Maslow, 1943, p. 123)

وكذلك اتفق **جيمس درايفر "James Drever"** (١٩٥٢) مع كل من **هاريمان "Hariman"** (١٩٦٤) **وعبد الله عبد الحى موسى** (١٩٨١) **ولونجمان "Longman"** (١٩٨٦) على تعريف الحاجة بأنها هى "حالة افتقار أو حالة نقص وعدم اتزان فى أنسجة الكائن الحى تدفعُه إلى اتخاذ سلوك معين بحيث يحقق له حالة من التوازن" .

(James, 1952, p. 10) & (Hariman, 1964, p. 232)

(عبد الله عبد الحى موسى ، ١٩٨١ ، ص ٩٠) & (Longman, 1986, p. 400)

وكذلك اتفق **حامد زهران** (١٩٧٨) مع **آرتهورس "Arthurs"** (١٩٨٥) فى أن الحاجة يمكن أن تكون حاجات أساسية وضرورية لاستقرار الحياة (حاجات فسيولوجية) وإما أن تكون حاجات تتضمن العوامل الاجتماعية والشخصية المشتقة من أشكال التعلم المعقدة وهى (حاجات نفسية) .

(حامد زهران ، ١٩٧٨ ، ص ٢٣) & (Arthurs, 1985, p. 465)

* تعقيب الباحثة على التعريفات السابقة :

وترى الباحثة أنه على الرغم من تعدد التعريفات السابقة ، والتى قدمها هؤلاء العلماء لتعريف الحاجة واختلافها باختلاف المنهج الذى اتبعهُ كلٌ منهم فى دراسته وتحليله لعملية الدافعية ، وتصوره للطبيعة النفسية للفرد . إلا أن معظمها اتفق على أن الحاجات – سواء كانت فسيولوجية أو نفسية – هى بمثابة قوة دافعة لسلوك الإنسان فى شتى المجالات ، ولكن تكاد تتفق هذه التعريفات فى مجموعة من الخصائص التى يجب وضعها فى الاعتبار عند تعريف الحاجة وهى :

- وجود حالة من الافتقار إلى شىءٍ ما وقد يكون الافتقار إلى التخلص من شىءٍ ما ويمثل ذلك موقفاً غير مشبع .
- شعور الفرد بحالة من التوتر وتصاحب بحالة من الافتقار لحاجةٍ معينة ، وهذا التوتر الناتج عن الحاجة له دورٌ كبيرٌ فى إثارة وتوجيه سلوك الفرد .
- الحاجة قوة أو طاقة تدفع سلوك الفرد ، وذلك لأن الطاقة هى كل ما ينتج عن نشاط .
- بل إنها سلوك يقوم به الفرد ليحقق هدف معين ، وهذا يحقق الرضا والشعور بالراحة .
- هدف أو موضوع يمثل لدى الفرد قيمة تجعله يسعى للوصول إليه فالطعام يُعْتَبَرُ هدفاً هاماً عند الإنسان لذلك يسعى لتحقيقه .
- تتفق معظم التعريفات السابقة على أن الحاجة التى تدفع الإنسان لإصدار سلوكٍ معينٍ قد تكون قوةً فسيولوجيةً أو قوةً نفسيةً .
- الإشباع أو الرضا هو خبرة شخصية يمر بها الفرد عند بلوغ الهدف وتقليل التوتر .

٢ – تعريف الدافع : "Motive"

وعرَّف **محمد عبد الظاهر الطيب ومحمود عبد الحليم المنسى (١٩٩٧)** الدافع بأنه : "حالات فسيولوجية داخل الفرد تجعلهُ ينزع إلى القيام بأنواع معينة من السلوك فى اتجاه معين ، وتهدف الدوافع إلى خفض حالة التوتر لدى الفرد وتخليصه من حالة عدم التوازن . وكذلك هو مصطلح عام أُطلق للدلالة على العلاقة الديناميكية بين الكائن الحى وبيئته وهذه العلاقة لا تكون فى شكل ظاهرة سلوكية يمكن ملاحظتها ولكن فى صورة استدلالية" .

(محمد عبد الظاهر الطيب ومحمود عبد الحليم المنسى ، ١٩٩٧ ، ص ١٨٨)

٣ - تعريف الحافز : "Drive"

ولقد عرَّف **كمال الدسوقى** (١٩٩١) الحافز بأنه "مصطلح عام يشمل الدفاعات الغريزية ونحوها ، أو القوى الدافعة التى تستحث حيواناً ما للنشاط الموجَّه نحو غايةٍ . أو نزعة كائن عضوى موقظة موجهة للهدف وتقوم على تغير فى العمليات العضوية . وقد تتوالد البواعث بالحرمان أو بظروف ضارة مؤذية تبعث على الألم فالسلوك المقترن بالبواعث يوجه نحو إزالة الحرمان أو تفادى التنبيهات المؤذية" .

(كمال الدسوقى ، ١٩٩١ ، ص ٤٢٨)

٤ - تعريف الباعث :

عرَّف **أحمد عزت راجح** (١٩٩٩) الباعث بأنه : "موقفٌ خارجى مادى أو اجتماعى يستجيب له الدافع . فالطعام باعثٌ يستجيب له دافع الجوع ووجود صرخة شخصٍ ما باعثٌ اجتماعىٌ يستجيب له الدافع الاجتماعى (التعاطف والشفقة) .

(أحمد عزت راجح ، ١٩٩٩ ، ص ٩٢)

٥ - تعريف الغريزة :

عرَّف **جون "John"** (١٩٩٣) الغريزة بأنها "دافعٌ بيولوجىٌ فطرىٌ يحدد سلوك جميع الكائنات الحية" .

(John, w., 1993, p. 4)

وقام **أحمد عزت راجح** بالتمييز بين هذه التعريفات كالتالى :

- التمييز بين الدافع والحافز :

أشار **أحمد عزت راجح** (١٩٩٩) إلى أن الدافع هو قوةٌ محركةٌ وموجهةٌ فى آنٍ واحدٍ ، فهو يثير السلوك إلى غاية وهدف يرضيه . ولئن أثير الدافع وأعيق عن بلوغ هدفه ظن الفرد فى حالة من التوتر وكأنه زنبرك مشدود - وبعبارة أخرى - فالدافع استعداد ذو وجهين وجه داخلى محرك ووجه خارجى وهو الغاية أو الهدف الذى يتجه إليه السلوك الصادر عن الدافع بينما يُعْرَفُ الوجه الداخلى للدافع بالحافز . ولكن

الحافز وحده لا يوجه السلوك توجيهًا مناسبًا ؛ لذا يكون السلوك الصادر عن الدافع سلوكا موجهًا إلى هدفٍ معينٍ .

وبعبارة أخرى فالحافز هو مجرد دفعة من الداخل فى حين أن الدافع دفعة فى اتجاه معينٍ . وموجز القول أن الدافع هو سبب السلوك وغايته فى آنٍ واحد .

- التمييز بين الباعث والدافع :

أشار **أحمد عزت راجح** إلى أن الباعث هو موقفٌ خارجيٌ مادىٌ أو اجتماعىٌ يستجيب له الدافع ، فالطعام باعث يستجيب له دافع الجوع . إذن فالدافع قوة داخل الفرد ؛ أما الباعث فهو قوة خارجه .

- التمييز بين الحاجة والرغبة :

وكذلك **أشار أحمد عزت راجح** إلى أن الحاجة بمعناها الواسع هى حالة من النقص والافتقار أو الاضطراب الجسمى أو النفسى إن لم تلق إشباع أثارت لدى الفرد نوعًا من من التوتر والضيق ، أما الرغبة فهى الميل نحو أشخاصٍ أو أشياءٍ معينةٍ ، كرغبة الطفل فى تفضيل أمه ، ورغبة الطالب فى إتقان نظرية النسبية .

إذن فالرغبة لا تنشأ من حالة نقصٍ أو اضطرابٍ - كما هى فى الحاجة - بل تنشأ من تفكير الفرد فيها أو تذكره إياها ، أو إدراكه الأشياء المرغوبة - وبعبارة أخرى - فالحاجة هدفها تجنب ألم ، أما الرغبة فهى تستهدف التماسك للذةٍ معينةٍ .

(أحمد عزت راجح ، ١٩٩٩ ، ص ص ٩٣ ، ٩٤)

وقبل **عرض الباحثة** للنظريات المفسرة للحاجة سوف توضح أنها تستخدم فى الجزء التالى مصطلح الدافع بنفس المعنى الذى يؤديه مصطلح الحاجة .

وتتفق الباحثة مع "Hebb" (١٩٥٥) الذى يضع مصطلح الحاجة "Need" تحت مصطلح الدافعية "Motivation" ، ويرى أن الدافعية هى مقوماتٌ للسلوك ومنبعٌ للطاقة ، كما يرجع إليها استمرارية وتوجيه السلوك .

كما يرى **هب "Hebb"** أيضًا أنه من الممكن أن نعتبر أن كلاً من : (الحاجة ، والدافع ، والحافز ، والهدف) ممكن أن تقع تحت مفهوم الدافعية ، ويوضح

أن الدافع هو مؤثرٌ خارجيٌ وطاقةٌ ناتجةٌ من حاجاتٍ سيكولوجيةٍ ينتج عنها تحريكًا أو تنبيهًا قويًا .

(Hebb, 1955, p. 246)

وكذلك اتفق كل من **مورفى وفاخر عاقل** فى أن كلمات (التوتر ، والحاجة ، والدافع) تحل محل بعضها البعض وعرَّفا الحاجة بأنها النقص تجاه شيء ما يمكن للفرد أن يحقق إشباع هذه الحاجات إذا ما تواجد هذا الشيء .

(فاخر عاقل ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٠) & (Murphy, 1947, p. 461)

إذن فالحاجات مرتبطة بالدوافع وناشئة عنها حيث يسعى الإنسان لإشباعها فيحفظ بذلك نوعه ونفسه ويعمل على صالحه وصالح مجتمعه .

(فرج عبد القادر طه وآخرون ، ١٩٩٣ ، ص ١٧٣)

ولقد مرَّ مصطلح الحاجة بمراحل تطورية معينة فى علم النفس ، وسوف **توضح الباحثة** هذه المراحل بشيء من الإيجاز كالآتى :

- التطور التاريخى لمصطلح الحاجة :

نظر الفلاسفة الإغريق إلى الإنسان فى البداية على أنه مدفوعٌ من أجل البحث عن السعادة وتجنب الآلام ، وكانوا يعتقدون أن السعادة هى الشيء الوحيد الذى يُسْتَحَقُّ الكفاح من أجله . وفى عام ١٨٥٩ ظهرت نظرية **دارون** الثورية والتى كانت ذات تأثيرٍ عميقٍ على تطور علم النفس الدافعى ، حيث جعلت نظرية دارون المبادئ التى كانت تُستخدم منذ قديم الأزل فى تفسير سلوك الحيوان من الممكن استخدامها فى تفسير سلوك الإنسان ومنذ هذا الوقت بدأ يظهر مصطلح الغريزة الذى عرَّفه دارون بأنه قواتٌ دافعة ، بل إنه عرَّفه فى بعض الأحيان بأنه ميكانزمات توجيه السلوك .

(Benjamin, 1973, pp. 674-645)

وكانت أكثر نظريات الغرائز ذيوعًا وتأثيرًا فى ذلك الوقت نظرية العالم الإنجليزى **ماكدوجال** الذى وضع عدد من الغرائز مثل : غريزة المقاتلة ، والوالدية ، والنفور ، والسيطرة . ولكن النظرة الحديثة إلى موضوع الدافعية تُقْصِرُ استخدام مفهوم

الغريزة على الحيوانات دون الإنسان ، وترى مشكلة الغريزة على أنها مشكلة اختلاف درجة التعلم والتكيف عند الحيوانات المختلفة ، وتُؤثِرُ أن نتحدثَ فى حالة الإنسان عن دوافعه وحاجاته الفسيولوجية وعن حاجاتٍ أخرى نفسية اجتماعية . وكذلك تميز مفهوم الحاجة بأنه أكثر شمولاً ومرونة من مفهوم الغريزة وأنه يشتمل بالضرورة على تأثر السلوك بالبيئة الاجتماعية ويدخل فى الاعتبار تفاعل الفرد مع مجموعاته الاجتماعية ، كما أنه لا يوحى بالجمود والعمومية وثبوت السلوك الذى يوحى به مفهوم الغريزة .

(صموئيل مغاريوس ، ١٩٧٤ ، ص ١٢)

وبعد التاريخ الطويل لمصطلح الغريزة فى علم النفس ؛ اقترح مجموعة من علماء النفس أن سلوك الإنسان ودوافعه ، يمكن تفسيرها بطريقة أفضل وذلك من خلال عملية التعلم وليس بالغريزة وحدها ، أى أن سلوك الكائن الحى لا يكون نتيجةً للغرائز الفطرية ولكنه هو نتيجة لمثيرات بيئية حسية . لذلك فالبيئة مسئولة إلى حدٍ كبيرٍ عن استثارة كثيرٍ من السلوكيات ، وفى تلك الأثناء بدأ يظهر مصطلح الحافز الذى أصبح يحل محل مصطلح الغريزة .

(Robert, 1994, p. 8)

وفى مطلع عام ١٨٩٨ قام **ثورنديك** بوضع العديد من القوانين التى تُفسِّر عملية التعلم ، وكان أشهرها قانون الأثر الذى كان الأساس فى ظهور مفهومان أساسيان فى تلك الفترة ، (مفهوم الإشباع ومفهوم عدم الإشباع) ، وبذلك جعل ثورنديك مفهوم الدافعية ذات أهمية خاصة .

وفى عام ١٩١٨ ظهر العالم **وودورث "Woodworth"** وهو الذى مهَّد السبيل لاستعمال مصطلح الدوافع "Drives" بدلاً من غرائز ، وإليه يرجع الفضل فى المكان الذى يحتله هذا المصطلح فى علم النفس حاليًا ، ويقول وودورث أن الكائن الحىّ له دوافعه ، وأن هذه الدوافع تُشبع عن طريق النشاط الذى يقوم به الكائن الحى فى البيئة .

ولكن تَحَقَّقَ التقدم الأكبر لمصطلح الدافعية على يد **تولمان** الذى قدم العديد من المتغيرات الدافعية عام ١٩٣٢ ، وكان من هذه المتغيرات التى أدخلها تولمان مصطلح الحوافز ومصطلح الحاجات باعتبارهما ذات أهمية كبيرة فى تحديد سلوك الإنسان وتوجيهه ، ولكن تأثر **تولمان بكلارك هل** الذى رأى أن الحاجة سببها الحرمان الفسيولوجى

مثل الحرمان من الطعام أو الماء ، وهذا الحرمان يُحدِث حالة من التوتر والتى تعرف باسم الحافز ، وهذا الحافز يدفع الكائن الحى إلى خفض ذلك التوتر .

(Lesterm, 1995, p. 389)

وفى عام ١٩٣٨ ظهر العالم **فرويد** الذى رأى أن الجانب البيولوجى من الإنسان بمثابة الطاقة الدافعية لسلوكه ووضع مجموعتان من الغرائز : غرائز الحياة (الليبيدو) ، وغرائز الموت .

(Robert, 1994, p. 11)

وفى عام ١٩٤٣ ظهر العالم **ماسلو** والذى رأى أن حاجات الفرد مرتبةٌ ومنظمةٌ فى تسلسلٍ هرمي ، وأن هذه الحاجات تنشط وتُستثار وفقًا لهذا التنظيم الهرمى ، وكان هذا التنظيم يتكون فى قاعدتهِ من الحاجات الفسيولوجية . أما المستوى الثانى فهو حاجات الأمن ثم حاجات الحب والانتماء حتى حاجات تقدير الذات وتحقيق الذات . والفكرة الأساسية فى نظرية ماسلو هى تقدم الإنسان من إشباع حاجات المستوى الأدنى حتى يصل إلى قمة التسلسل .

(Lesterm, 1995, p. 390)

وللحاجات أدوار ووظائف عديدة منها : وظيفة الدفع ، فالحاجة حالة نفسية تستثير الإنسان لممارسة النشاط وتوجهه الوجهة التى تحقق له قدرًا مناسبًا من الإشباع كما يحدث للإنسان حال إحساسه بالحاجة إلى الطعام فإننا نلاحظ أن هذه الحاجة تدفعُه للبحث عن الطعام ، والأمر كذلك عند إحساسه بالحاجة إلى الأمن والطمأنينة فإنها تدفعه وتوجهه الوجهة التى تحقق له هذا الشعور .

أما الوظيفة الثانية للحاجة فهى : توجيه السلوك ولذلك تساعد الحاجة الإنسان على إحداث النمو السليم عن طريق دفعه لممارسة النشاط الذى يتم من خلاله الإشباع لأية حاجة من الحاجات التى تتطلب منه إشباع بشرط أن يتم إشباع الحاجة بشكل مباشر وبأسلوب سليم .

(نبيه إبراهيم إسماعيل ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٠ ، ١١)

وبذلك يمكن أن يقوم الدافع بدور الحاجة ، وذلك لأن الدافع متغيرٌ وسيطٌ يعمل على تغيير السلوك وتوجيهه فى مسالك معينة ، ومن الوظائف المميزة للدافع وظيفة التحريك أو

التنشيط ، فالدافع من شأنه أن ينشط السلوك ، أو يستثيره ويحركه فى الكائن الحىّ ، أى يبعث فيه الطاقة اللازمة للأداء الفعال .

وكذلك تقوم الدافعية بوظيفة التوجيه فالمثيرات الدافعة توفر الإمارات أو العلامات التى تعمل كموجهات لسلوك الكائن الحى ، فالدافعية مجموعة القوى التى تحرك السلوك وتوجهه وتعضده نحو هدف من الأهداف .

(إبراهيم قشقوش ، طلعت منصور ، ١٩٧٩ ، ص ص ٨-٩)

وهذا ما يبرر التحدث عن مصطلح الدافع مع أن بحثى يتحدث عن إشباع الحاجات النفسية للأبناء المراهقين من الجنسين .

ثانيًا : النظريات المفسرة للحاجة وتعقيب العلماء عليها

وسوف **تقوم الباحثة** بعرض مسح شامل لمختلف النظريات التى درست مصطلح الدافع وذلك منذ عصر الفلاسفة الإغريق وحتى النظرية الخاصة بالدافعية عند ماسلو .

١ - الدافع عند الفلاسفة الإغريق :

"كانت بعض المحاولات الرسمية التى تُفَسِّرُ طبيعة الدافعية الإنسانية مقدمة بواسطة الفلاسفة الإغريق حيث افترض الإبيقوريون "Epicwrus" أن الإنسان مدفوعٌ من أجل البحث عن السعادة وتجنب الآلام . وكانوا يعتقدون أن السعادة هى الشىء الوحيد الذى يُسْتَحَقُّ الكفاح من أجله وأدرك الكثير من فلاسفة الإغريق أن الحصول على السعادة الحقيقية لا يتحقق إلا بالكفاح الطويل واجتلاب الآلام .

وأثبت هؤلاء الفلاسفة أن الإنسان يستطيع الحصول على الشىء الجيد فقط إذا كان عقله متطورًا تطورًا تامًا . وذلك لأن العقل المتطور يسمح لصاحبه أن يفهم نتائج وعواقب طويلة الأمد ، والمترتبة على سلوكه . وعلى الرغم من أن الفلاسفة الإغريق عرفوا تمامًا مدى ميل الإنسان إلى البحث عن السعادة وتجنب الآلام إلا إنهم لم يوجهوا لأنفسهم سؤالاً هامًا وهو :

ما دور العقل الإنسانى فى توجيه الدوافع الأساسية للفرد ؟ مثل الدافع إلى الجوع والجنس والعدوان . ويبدو أن الإغريق اعتقدوا أن هذه الدوافع كانت بمثابة خادم للعقل

الإنسانى ، وكانت تجاوزات الإغريق تتمثل فى فشلهم فى التنبؤ بعواقب السلوك . ومن كتابات الإغريق اتضح لنا أنهم ينظرون إلى صراع الإنسان على أنه نتيجةٌ طبيعيةٌ لفشل التطور العقلى ؛ ولذلك كان هدف الفرد والمجتمع تطوير عقل الإنسان ، وبذلك كان الصراع والعدوان عند الإغريق هما نتيجةً طبيعيةً للجهل ولا ينظرون إليهم على أنهم حوافز بيولوجية أساسية" .

(Robert E., 1994, pp. 4-5)

"وعندما ظهر علم النفس كعلمٍ مستقلٍ بذاته والذى كان نتيجةً للتنقيح بين الفلسفة وعلم الفسيولوجيا التجريبى والذى وضع أساسه كلٌ من **فشنر Fechner** ، **ووند Wund** و**ايبنجهاوس Ebbinghaus** فلم يكن هناك فرصةً فى تلك الفترة المبكرة لاستخدام الافتراضات والتعريفات الدافعية ، وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن علماء النفس التجريبى كانوا يركزون على وجه التحديد - فى هذه الفترة - على العمليات المعرفية وخاصة العمليات الإدراكية والحسية" .

(Benjamin, 1973, p. 674)

٢ - نظريات الغرائز : "Instinct Theories"

"كانت النظرية الثنائية (العقل ، الروح) تفترض أن سلوك الإنسان يمكن إرجاعه إلى وجود العقل عند الإنسان ، أما سلوك الحيوان فلا يمكن أن يُفَسَّرَ على ذلك الأساس . والحاجة إلى تفسير سلوك الحيوان هى التى دفعت الرواقيين "Stoics" إلى اكتشاف مفهوم الغريزة . ونظر الرواقيون إلى الغريزة على أنها نزعات هادفة تُغرس بالطبيعة فى الحيوان ، وأن هذه النزعات توجه الكائن الحى لكى يحقق الحوافز النافعة والتى تعمل على حماية الأنواع وتجنب انقراضها . وظلت هذه الفكرة سائدة حتى العصور الحالية ، ولكن وقعت المشكلة عندما وجد العلماء والفلاسفة أن هناك تشابهٌ بين سلوك الحيوان وسلوك الإنسان فأراد هؤلاء العلماء أن يعرفوا السبب فى هذا التشابه بشىء من التفصيل ، ولكن حَرَّمَتْ الكنيسة عليهم ذلك لأنها اعتبرته محاولةٌ تَنُمُّ عن عدم احترام المقدسات الكنسية" .

(Robert, 1994, p. 6)

"وفى ذلك الوقت الذى تطور فيه علم النفس التجريبى فى ألمانيا انطلقت النظرية الثورية "**لدارون**" والتى ظهرت مع إصدار كتابه **"The Origin of Species"** بعنوان

أصل الجنس البشرى ، وكان لهذا الكتاب تأثيرٌ عميقٌ على تطور علم النفس الدافعى حيث جعلت نظرية دارون (الثورية) المبادئ التى كانت تستخدم منذ قديم الأزل فى تفسير سلوك الحيوان من الممكن تطبيقها فى تفسير سلوك الإنسان . ومن هنا فهذا المصطلح (الغريزة) Instinct الذى كان يفسر سلوك الحيوان أمكن استخدامه فى تفسير سلوك الإنسان .

وعرَّف **دارون** الغريزة بأنها "قوات دافعة" ، بل عرَّفها فى بعض الأحيان بأنها "ميكانزمات توجيه سلوك الحيوان" . وبعد ظهور نظرية دارون والتى تحدثت عن أصل الجنس البشرى أصبح هذا المفهوم شائعَ الاستخدام بين علماء النفس الآخرين" .

(Benjamin, 1973, p. 674)

"وكانت الفكرة الأساسية التى ترتكز عليها نظرية الغريزة "Instinct Theory" هو أن لكل حيوان دوافع معينة مثل دافع (الجوع) ويضمن هذا الدافع البقاء ، بالإضافة إلى بعض الدوافع الأخرى مثل (إقامة العلاقات الجنسية) وكانت هذه الدوافع مشتركة بين جميع أنواع الكائنات الحية ، وهى التى تضمن لهم البقاء على ظهر الحياة . ومن المُسلَّم به أن هذه الدوافع كانت موجودة عند الكائنات الحيَّة منذ لحظة الميلاد ، وتقوم هذه الغرائز بدور هام فى استثارة وتوجيه السلوك لكى تشبع هذه الدوافع . ولكن عالم النفس – الذى كان يعتمد على الغرائز باعتبارها دوافع أولية – كانت تقابله مشكلة أساسية وهى أن هذه الغرائز كان من المعروف أنها تقوم بتفسير أنواع السلوك البسيطة ، ولكن معظم السلوك الإنسانى سلوكٌ معقدٌ فكيف تستخدم هذه الغرائز فى تفسير هذه الأنواع من السلوك . ولكن ظهر حلان لهذه المشكلة : الحل الأول وقدمه فرويد (١٩٥١) وهو أن قام بوضع عددًا قليلاً من الغرائز (الموت ، الحياة) من أجل تفسير هذه الأنواع من السلوك بالإضافة إلى تعلم الطرق المتنوعة التى تساعدنا على إشباع هذه الغرائز ، أما الحل الثانى اقترحه **وليام ماكدوجال** والذى افترض عددًا كبيرًا من الغرائز من أجل تفسير السلوك" .

(David, 1976, p. 35)

"وكان من بين هؤلاء العلماء الذين اهتموا بالغرائز عالم النفس الأمريكى "**وليام جيمس**" فهو أول عالم أمريكى اهتم بالغريزة . وقدم لنا جيمس العديد من الغرائز التى تفسر السلوك الإنسانى ولكن كان انتشار هذا المفهوم موازٍ – فى نفس الوقت – لانتشار بعض المفاهيم الأخرى التى تفسر سلوك الإنسان مثل : مفهوم العادات Habits والإرادة

Will والانفعالات . بينما كان من بين العلماء البريطانيين الذين اهتموا بمفهوم الغريزة "**وليم ماكدوجال**" (١٩٠٨) والذى نظر إلى الغريزة على أنها مفهومٌ أساسىٌ فى تفسير سلوك الإنسان وذلك كما كتب فى كتابه المعروف باسم علم النفس الاجتماعى "Social Psychology" ، وكان لهذا الكتاب آثاره العميقة فى تطور علم نفس الدافعية . ولقد عرَّف ماكدوجال الغريزة بأنها نزعةٌ نفسيةٌ فسيولوجيةٌ وراثيةٌ ، وهذه النزعة توجّه صاحبها للقيام بسلوكٍ معينٍ يساعد الفرد على بلوغ هذا الهدف . ويتضح لنا من تعريف ماكدوجال أنه مصطلحٌ شاملٌ حيث إنه يتضمن العناصر المعرفية المباشرة مثل (أن يدرك) ؛ (أن يوجه اهتماماته إلى) . بالإضافة إلى العناصر الدينامية مثل (الانفعال – الاستثارة)" .

(Robert, 1994, p. 674)

"وقام ماكدوجال بوضع مجموعة من الغرائز وما يطابقها من انفعالات وهى كالآتى :

الغريزة	:	**انفعالها**	**الغريزة**	:	**انفعالها**
الوالدية	:	الحنو	المقاتلة	:	الغضب
الحب للاستطلاع	:	التعجب	الهرب	:	الخوف
الجوع	:	البحث عن الطعام	النفور	:	الاشمئزاز
الاستغاثة	:	العجز والضعف	الجنسية	:	الشهوة الجنسية
الخنوع	:	الشعور بالنقص	السيطرة	:	الزهو
الحل والتركيب	:	حب العمل والنشاط	التملك	:	حب التملك

(David, 1976, p. 36)

"واحتفظ ماكدوجال فى تعريفه للغريزة على العناصر الأكثر دينامية والتى كانت تشكل مفهوم الغريزة عنده . وبتطور نظرية ماكدوجال – وذلك بعد أن تعرضت لانتقادات كثيرة – أسقط ماكدوجال فى مراجعته الأخيرة لنظريته مصطلح الغريزة وأدخل بدلاً منه مصطلح الاستعداد أو الميل "Tendency" ليؤكد أن نظريته فى الغرائز هى قبل كل شىء نظرية فى الدوافع الأساسية" .

(Benjamin, 1973, p. 675)

تعقيب العلماء على نظرية الغرائز :

نظر ماكدوجال إلى الغرائز على أنها المحركات الأولى للسلوك ، بل إنه عرَّفها على أنها استعدادٌ فطريٌ نفسيٌ يحمل الكائن الحى على الانتباه إلى مثيرٍ معينٍ يدركه إدراكا حسيًا ويشعر بانفعال خاص عند إدراكه ، ومن ثمَّ يسلك سلوكا معينا تجاهه .

(محمد رفقى عيسى ، ١٩٨٨ ، ص ١٧)

ولكن تعرضت هذه النظرية إلى نقد كبير من علماء النفس . حيث أشار **مصطفى زيدان** إلى نظرية الغرائز على أنها نظرية تفسر السلوك على أساس قوالبٍ وصيغٍ جامدة . وأن ماكدوجال بنى نظريته بناءً على مشاهداته العامة للسلوك الحيوانى والسلوك البشرى ، ولم يحاول أن يدرس الميول الفطرية دراسةً علميةً مؤيدةً ببرهانٍ علمىٍ مستمدٍ من تلك الأساليب والمناهج التى أقرها علماء النفس .

كذلك تنكر نظرية ماكدوجال ما للحياة النفسية والعقلية والخبرات السابقة للفرد من أثر كبيرٍ على سلوكه ، كذلك اختلف أصحاب هذه النظرية فيما بينهم على عدد هذه الغرائز . وتدور هذه النظرية فى دائرة مغلقة فالإنسان يقاتل – مثلا – لأن لديه غريزة المقاتلة ويهرب لأنه مدفوعٌ بغريزة الهرب وهكذا لا تضيف هذه النظرية الكثير إلى فهم سلوك الإنسان ودوافعه .

(محمد مصطفى زيدان ، ١٩٨٤ ، ص ٢٥)

٣ – المدرسة السلوكية : "Behaviourism"

"بينما كانت مفاهيم المثير والحافز منتشرة ومتداولة فى علم النفس وكان لمفهوم الغريزة تاريخٌ طويلٌ فى هذا العلم . اقترح مجموعة من علماء النفس أن سلوك الإنسان يمكن تفسيره بطريقة أفضل وذلك من خلال عملية التعلم وليس بالغريزة وحدها . وكان "**جون واطسون**" هو المؤسس للمدرسة السلوكية وكان يرى أن الإنسان لديه فقط ثلاث انفعالات وراثية : الخوف ، الغضب ، الحب . ويرى واطسون أن كل الانفعالات الأخرى إما إنها تكون متعلمة ، أو أنها مستمدة من الانفعالات الثلاثة السابقة . وكان يرى أصحاب هذه المدرسة أن سلوك الكائن الحى لا يكون نتيجة للغرائز الفطرية ولكنه على العكس هو نتيجة لمثيرات بيئية حسية فهم يفترضون

أن البيئة مسئولة إلى حدٍ كبيرٍ عن استثارة كثير من السلوكيات التى تم ملاحظتها على الإنسان . وعلى الرغم من أن كثيرًا من علماء النفس المعاصرين لجون واطسون كانوا يرفضون الفكرة التى تقول بأن السلوك هو نتيجة عن غرائز الإنسان الفطرية . ولا ينكر علماء الأيثولوجيا أن كثيرًا من النماذج الهامة للسلوك كانت ذات أصل غريزى (بيولوجى)" .

(Robert, 1994, p. 8)

تعقيب العلماء على المدرسة السلوكية :

تلاشت المدرسة السلوكية عيوب النظرية السابقة من حيث التركيز على غرائز الإنسان الفطرية فى دفع وتوجيه سلوكه . فيرى أصحاب هذه النظرية أن المثيرات البيئية الحسية هى المسئولة عن دفع وتوجيه سلوك الإنسان ، بل إنهم لا يعطون للغرائز أهميةً كبيرةً فى حياة الفرد العادية بل إنهم ينادون بأن الفرد يكتسب دوافعه من الخبرات التعليمية التى يمر بها وفقًا لنماذج تقليدية .

ولكن يؤخذ على هذه النظرية أنها تلاشت أهمية الجانب البيولوجى والغريزى من الإنسان فى دفع وتوجيه سلوكه ، وكذلك دور الخبرات الحياتية السابقة وبذلك وقعت المدرسة السلوكية فى نفس العيب الذى وقعت فيه نظرية الغرائز حيث إنها عجزت عن تقديم تفسيرٍ كاملٍ وسليمٍ لسلوك الإنسان .

(عبد السلام عبد الغفار ، ١٩٨١ ، ص ٨١)

٤ – الدافعية ونظرية التعلم : "Motivation and Learning"

"وبعد ازدهار نظرية دارون الثورية فى أواخر القرن التاسع عشر زاد إقبال علماء النفس على دراسة سلوك الحيوان وكان من بين هؤلاء العلماء **"ادوارد ثورنديك"** (١٨٩٨) ، فقام ثورنديك فى مطلع عام (١٨٩٨) بكتابة تقرير عن تجاربه الشهيرة التى أجراها على القطط فى (صندوق المتاهة) ، وفى تلك الأثناء وصف ثورنديك عملية التعلم من خلال ما يعرف باسم "التعلم بالمحاولة – الخطأ" "Trial & Error" أو ما يعرف باسم التعلم الانتقائى "Selective Learning" . وقام ثورنديك بوضع العديد من القوانين التى تفسر عملية التعلم ، وكان أشهرها على الإطلاق "قانون الأثر" "Law of Effect" وينص

هذا القانون على : أن الاستجابة التى تكون مصحوبة بالشعور بالرضا والارتياح تميل إلى التكرار إذا ما تعرض الفرد لنفس المثير مرة أخرى . أما الاستجابة التى تكون مصحوبة بعدم الرضا والارتياح فيؤدى ذلك إلى إضعافها . وكان هذا القانون بمثابة الأساس لظهور مفهومان أساسيان فى تلك الفترة هما : مفهوم الإشباع "Satisfaction" ، ومفهوم عدم الإشباع أو الضيق والانزعاج "Discomfort" . وبذلك جعل ثورنديك مفهوم الدافعية ذات أهمية خاصة فى علم النفس التعليمى . وأصبح خفض الحافز "Satisfaction" وعدم خفض الدافع "Discomfort" من الشروط الهامة لحدوث التعلم عند ثورنديك . ولكن عندما اشتد الخلاف على مفهوم الغريزة فى تلك الفترة حل محل هذا المفهوم الكثير من المفاهيم الأخرى مثل : مفهوم الحافز "Drive" ، والحاجة "Need" ، والاستعدادات "Appetites" ، والمتطلبات "Demands" . وفى عام ١٩١٨ ظهر العالم "وودورث" "Woodwarth" وهو الذى مهد السبيل لاستعمال مصطلح الحوافز "Drives" بدلاً من الغرائز . ويسمى "وودورث" الحافز بأنه ذلك "المتغير الدينامى" الذى يحفز أو ينشط "ميكانيزم السلوك" ويرجع إليه الفضل فى المكان الذى يحتله هذا المصطلح فى علم النفس اليوم . ويقول وودورث أن الكائن الحى له دوافع "Drives" وأن هذه الدوافع تُشْبَعُ – فى رأيه – عن طريق النشاط الذى يقوم به الكائن الحى فى البيئة .

ولكن تحقيق التقدم الأكبر لمتغيرات الدافعية لم يتم إلا على يد **تولمان "Tolman"** الذى قدم العديد من المتغيرات الدافعية فى كتابه الشهير "The Purposive, Behavior Animals and Men" (١٩٣٢) والمعروف باسم السلوك الهادف أو (الغرضى) عند الإنسان والحيوان ، ومن ضمن هذه المتغيرات التى أدخلها تولمان (الحوافز) ، الحاجات "Demands" باعتبارها ذات أهمية كبيرة فى تحديد سلوك الإنسان بل وتوجيهه . ولا يرى تولمان أن عملية التدعيم لها دورٌ فى دفع السلوك ، ولكن تلعب الدوافع عند تولمان دورًا هامًا فى تحديد مستوى أداء الفرد والذى يوجهه غالبًا بواسطة المحددات المعرفية . وأخذ تولمان يعمل على تطوير نظريته فى السنوات الأخيرة ، وغيَّر من مصطلحات ومفاهيم نظريته إلى حدٍ بعيدٍ ، فبدأ نظريته بمفهوم الحافز والحاجة ، ثم غيَّرهم إلى الحاجة "Need" ، ثم عاد مرة أخرى إلى مصطلح الحافز .

ولكن تأثَّر **تولمان** إلى حدٍ كبيرٍ بالعالم **كلارك هل "Clark Hull"** والذى سُجِّلَتْ أعماله وكتاباته فى الفترة من عام ١٩٤٣ وحتى عام ١٩٥٢ ، ومن خلال هذه الأعمال طوَّر "هل" قانون ثورنديك (الأثر) ووضع "هل" قانون يماثل إلى حدٍ كبيرٍ قانون الأثر الذى وضعه ثورنديك ، وأدخل مصطلح خفض الحاجة (Need-Reduce) بدلاً من مصطلح الإشباع عند ثورنديك . ثم أدخل مصطلح خفض الحافز (Drive-Reduction) .

(Benjamin, 1973, p. 676)

ويرى **كلارك هل** "أن الحاجة سببها الحرمان الفسيولوجى مثل الحرمان من (الطعام أو الماء) ، وهذا الحرمان يُحْدِثُ حالةَ من التوتر والتى تُعرف باسم الحافز ، وهذا الحافز يدفع الكائن الحى إلى خفض ذلك التوتر . فالعطش حافزٌ يدفع الإنسان إلى البحث عن الماء وكذلك الجوع حافزٌ يدفع الفرد إلى تناول الطعام وكذلك الجنس حافزٌ يدفع الفرد إلى إقامة العلاقة الجنسية" .

(Lesterm, 1995, p. 389)

"وبذلك يرى **كلارك هل** أن الإنسان والحيوانات الأخرى تكون مدفوعة بأربع أنواع من الدوافع : (١) الجوع . (٢) العطش . (٣) الجنس . (٤) تجنب الألم" .

(Margaret, 1995, p. 387)

"ويحدد "**هل**" العلاقة بين الحاجة والحافز حيث اعتبر أن الحافز متغيرٌ مستقلٌ يلعب دورًا مؤثرًا فى تحديد السلوك فتصدر عن الفرد استجابات معينة تؤدى إلى إشباع الحاجة ، وبذلك يعزز السلوك ويحدث التعلم . أى أن العلاقات التفاعلية بين الحاجات والحوافز هى التى تحدد الاستجابات الصادرة فى وضعٍ معينٍ وتؤدى إلى التعليم" .

(عبد المجيد نشواتى ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠٨)

تعقيب العلماء على نظرية التعلم :

يذهب أصحاب نظريات التعلم إلى أن الكائنات العضوية – بما فى ذلك الإنسان – تُولد بعدد قليل من الغرائز نسبيًا من المصادر الأولية الفسيولوجية للدفع أو الحفز ، وأن المصادر التى يتم تعديلها تقليديًا هى الجنس والجوع والعطش وأنواع مختلفة من تجنب الألم ولكن الكائنات البشرية تدفعها كثير من المتغيرات غير تلك . كما يرى أصحاب

نظريات التعلم أن غالبية الدوافع البشرية تقوم على الحوافز الثانوية المتعلمة عن طريق عمليات التشريط التقليدية والوسيلية ، فالخبرات المبكرة المتعلقة بمصادر الحفز الأولية تتمخض عن استحداث مصادر حفز ثانوية هذه التى يمكن عن طريق التشريط من الدرجة الأعلى أن تصبح بعيدة تمامًا عن الدوافع الأولية . فحاولت نظرية التعلم أن تتلاشى عيوب نظرية الغرائز . كذلك يرجع الفضل لهذه النظرية فى إدخال مفاهيم جديدة حلّت محل مفهوم الغريزة مثل : مفهوم الحافز والإشباع وعدم الإشباع وذلك على يد العالم ثورنديك الذى وضع قانون الأثر كذلك يرجع الفضل لنظرية التعلم فى إرساء مبادئ التعلم الشرطى فى علم النفس .

(محمد عبد الظاهر الطيب ، محمود عبد الحليم منسى ، ١٩٩٧ ، ص ٢٠٩)

٥ - نظرية التحليل النفسى :

أ - سيجموند فرويد (١٩٣٨-١٩٤٦) :

"على الرغم من أن **فرويد** يُعْتَبَرُ من أعظم الرموز و(العلامات) الواضحة فى تاريخ علم النفس ؛ إلا أن أفكاره لم تلقَ أى رواجٍ فى مجال البحث التجريبى الخاص بالدافعية . فكانت معظم أفكاره مستمدة من قاعدة المعلومات والتى كانت بعيدة عن علم النفس التجريبى ، وكان فرويد يقوم ببناء استنتاجاته من التقارير الخاصة على مرضاه والذين كان معظمهم من العصابيين . ويرى فرويد أن الجانب البيولوجى من الإنسان بمثابة الطاقة الدافعة لسلوكه . ووضع فرويد مجموعة من الغرائز ووضع لكل غريزة منها مصدرًا للطاقة والدافع المناسب لها . وعلى الرغم من أن لكل غريزةٍ مصدرًا للطاقة خاصًا بها إلا أن فرويد أعتقد أن كل هذه الغرائز تستمد طاقاتها من مصدرٍ عامٍ يُعْرَفُ باسم طاقة "الليبيدو" "Libido" . ويشير هذا المصطلح إلى "غرائز الحياة" ، ويرى فرويد أن هذه الغرائز بالإضافة إلى أنها مصدرٌ أساسىٌ للطاقة . إلا أنها تعمل على توجيه السلوك لنوعٍ معينٍ من المنبهات الشهوية أو النزوات المعرفية والمتعلمة . وتفترض هذه النظرية أنه عندما يثار الإنسان بنوعٍ معين من الغرائز فتصبح هذه الغرائز مصدرًا للتوتر عنده الإنسان ، ولكى يقلل الإنسان من حدة هذا التوتر فإنه سوف يبحث عن الحاجة المناسبة التى تقلل هذا التوتر" .

(Robert, 1994, p. 11)

"ويعرّف **فرويد** الغرائز بأنها المصادر التى تستمد منها الشخصية ما يلزمها من طاقة لأداء أعمالها ، وهى التى توجه العمليات النفسية . ومصدر الطاقة النفسية مشتق من حالات الإثارة العصبية الفسيولوجية . وأنه لدى كل فرد قدرٌ محدودٌ من هذه الطاقة متاح للنشاط العقلى وأن هدف السلوك الإنسانى كله هو إنقاص التوتر الذى يخلقه تراكم الطاقة المؤلم بمضى الزمن" .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٩)

"ورأى فرويد أن الغرائز تعمل وفقًا لمبدأ اللذة . فليس الدافع الغريزى فى الواقع إلا ناتج عن حالة من التوتر ينتج عنها إحساس بالألم ويهدف الدافع الغريزى إلى خفض هذا التوتر أو إزالته وحينما ينخفض هذا التوتر أو يزول ؛ يحدث الشعور باللذة . واتخذ فرويد من مبدأ اللذة أساسًا يُفسر به الظواهر النفسية المختلفة كما يفسر به الأعراض العصابية" .

(سيجموند فرويد ، ١٩٨٨ ، ص ١٧)

"ولم يحاول فرويد أن يعد قائمة بالغرائز وذلك لاعتقاده بأننا لا نعرف ما فيه الكفاية عن الحالات البدنية التى تعتمد الغرائز عليها . إنَّ تعيين هذه الحاجات العضوية هو عمل عالم الفسيولوجيا وليس عالم النفس . وبالرغم من أن فرويد لم يتظاهر بأنه يعرف عدد الغرائز" .

(هول لندزى ، ١٩٧١ ، ص ٦١)

"إلا إنه وضع مجموعتين أساسيتين من الغرائز : المجموعة الأولى وهى غرائز الجنس والتى أطلق عليها فرويد اسم غرائز الهو (Ego) . وهذه الغرائز تساعد على بقاء الجنس البشرى . أما المجموعة الثانية وهى التى تتضمن غريزة الجوع والعطش وتساعد تلك الغرائز على بقاء الإنسان على الحياة" .

(David, 1976, p. 35)

"والغريزة عند فرويد لها أربعة مكونات أساسية هى : ١- المصدر Source . ٢- الهدف (Aim) . ٣- الموضوع Object . ٤- القوة الدافعة Impetus ، ويمثل مصدر الغريزة الحاجة التى تنبع منها هذه الحاجة . ورغم أن فرويد وضح أن مصدر

غرائز الحياة يكمن فى فسيولوجيا الأعصاب مثل (الجوع – العطش) إلا أنه وقف قاصرًا عن بيان مصدر غرائز الموت .

فهدف الغريزة هو دائمًا إزالة التوتر الناتج عن الحاجة وتقليله ، فإذا ما تحقق هذا الهدف أحسّ الإنسان بالراحة والمتعة بغض النظر عن الوسيلة التى لجأ إليها فى تحقيق هذا الهدف ، وأما موضوع الغريزة فيشير إلى أى مفردة من مفردات الوجود – شخص أو مادة داخل الفرد أو خارجه – يمكن عن طريقها تحقيق الهدف . أما القوة الدافعة فهى كمية الطاقة أو الضغط المُستخدم لإشباع الغريزة أو إرضائها ، ويمكن تقديرها بصورة غير مباشرة من خلال ملاحظة ما يواجه الفرد من عقبات سواء من ناحية الكم أو اختلاف النوع"

(محمد رفقى عيسى ، ١٩٨٨ ، ص ٢٧)

"وفى عام ١٩٢٠ عدل فرويد من نظريته وركز فى المقام الأول على العدوانية . ولكن التعديل الملفت للنظر فى نظرية فرويد أنه جمع غرائز الجنس والجوع – معًا – على أنها غرائز تهدف إلى تحقيق نمو وتطور الإنسان (غرائز الحياة) ، ويقابل هذه الغرائز غرائز الموت والهدم ، والتى كان يُطلق عليها اسم غرائز العدوان" .

(David, 1976, p. 35) & (Camille, 1992, p. 355)

تعقيب العلماء على نظرية فرويد :

على الرغم من النجاح الذى حققته نظرية التحليل النفسى إلا أن بها بعض جوانب القصور والتى يجب الإشارة إليها حيث وجه إلى هذه النظرية نفس النقد والقصور الذى وجه إلى أصحاب نظرية الغرائز . فتقوم النظريتان على أساسٍ واحدٍ وهو دور الغرائز الفطرية فى دفع سلوك الإنسان ، ولكن يختلف فرويد عن ماكدوجال فى أن الأول وضع عددًا محدودًا من الغرائز فى تفسير سلوك الإنسان وهما : غريزة الحياة ، وغريزة الموت ، أما ماكدوجال فوضع عددًا غير محددٍ من الغرائز . كذلك يؤخذ على فرويد أنه بنى استنتاجاته على بعض الحالات المرضية وخاصة مرضى العُصاب ، وحتى يمكننا إثباتها بطريقة تجريبية إحصائية ودقيقة علينا أن نحطاط فى تعميمها على مظاهر سلوكنا اليومى فى حالة الأسوياء من الناس .

وبالرغم من هذه الانتقادات إلا أنه يرجع الفضل إلى هذه النظرية فى بيان أهمية الدوافع اللاشعورية والكبت والصراع .

(محمد مصطفى زيدان ، ١٩٨٤ ، ص ٢٨)

ب - نظرية ألفرد آدلر عن الحاجات (١٩١٩-١٩٣٠) :

لقد ناقض آدلر ما ذهب إليه فرويد من افتراضٍ أساسيٍ مؤداه أن سلوك الإنسان تحركه غرائز فطرية ، وكذلك يناقض زعم يونج الرئيسى بأن سلوك الإنسان تحكمه أنماط أولية فطرية . فهو يفترض أن سلوك الإنسان تحركه الحوافز الاجتماعية . لذلك فالإنسان عند آدلر كائنٌ اجتماعىٌ يربط نفسه بالآخرين . ويرى آدلر أن الاهتمام الاجتماعى فطرى فى الإنسان وإن كانت الأنماط النوعية للعلاقات بالآخرين تحددها طبيعة المجتمع الذى يولد فيه الشخص . وعلى الرغم من أن فرويد أكد على الجنس ، ويونج أكد على الأنماط الفكرية الأولية الأثرية ، وآدلر أكد على الاهتمام الاجتماعى إلا أن ثلاثتهم يفترضون أن للإنسان طبيعة فطرية تشكل شخصيته . وربما كان أعظم ما أسهم به آدلر أن الإنسان - فى أساسه - كائن اجتماعى وليس كائنًا جنسيًا ، وإن الاهتمامات الاجتماعية وليست الجنسية هى التى تحركه . ويجاهد آدلر من أجل تكوين أسلوب تلعب فيه الدوافع الجنسية دورًا ثانويًا ويرى أن الطريقة التى يُشْبِعُ بها الإنسان حاجاته الجنسية يحددها أسلوبه فى الحياة وليس العكس . ولقد قوبلت تنحية آدلر الجنس عن عرشه بالترحيب والارتياح من جانب الكثيرين ، ولقد توصل آدلر عام ١٩٠٨ إلى استنتاجٍ مؤداه أن العدوان أكثر أهمية من الجنس . وفى عام ١٩١٠ حلَّت إرادة القوة محل الحافز للعدوان ، ولكن آدلر تخلى بعد ذلك عن إرادة القوة مفضلاً عليها الكفاح فى سبيل التفوق ، وعلى ذلك مرَّ تفكير آدلر فيما يتعلق بالهدف النهائى للإنسان بثلاث مراحل :

- أن يكون عدوانيًا . - أن يكون قويًا . - أن يكون متفوقًا .

ويرى آدلر أن الحاجة للتفوق هى دافعٌ فطرىٌ وأنه جزءٌ من الحياة . بل الحقيقة إنه الحياة ذاتها . وفى عام ١٩٣٩ أكد آدلر على أهمية الحاجة للتغلب على مشاعر النقص التى تنشأ عن ضروب العجز التى يعانيها المرء ذاته - نفسيًا كانت أو اجتماعيا - كما تشمل تلك التى تنشأ عن ضغطٍ جسميٍ فعلي أو عجزٍ ما .

وأكد آدلر على الاهتمام الاجتماعى الذى يتضمن : التعاون ، العلاقات المتبادلة ، العطف ، والتوحد بالجماعة . ويعتقد آدلر أن الاهتمام الاجتماعى فطرى وأن الإنسان مخلوقٌ اجتماعىٌ بطبيعته ، ولكن هذا الاستعداد الفطرى لا يظهر تلقائيًا وإنما يثمر بالتوجيه والتدريب . وبذلك فالإنسان الشاب عند آدلر تدفعه الشهوة التى ترتوى للقوة والسيطرة ليعوض الشعور بالنقص والدونية . أما الرجل الكبير عند آدلر فيحركه اهتمام اجتماعى فطرى يجعله يُخضع الكسب الخاص للصالح العام وبذلك حلَّ الاهتمام الاجتماعى محل الاهتمام الأنانى الفردى .

(هول لندزى ، ١٩٧١ ، ص ص ١٦٠-١٦٧)

ونخلص من العرض السابق لنظرية آدلر أنه اهتم بالحاجات النفسية والاجتماعية الآتية :

- الحاجة إلى القوة والسيطرة فى مرحلة المراهقة والشباب .
- الحاجة إلى التفوق .
- الحاجة إلى التعويض والتغلب على النقص .
- الحاجة إلى الاهتمام الاجتماعى الذى رأى فيه أنه يشمل التعاون والتوحد بالجماعة .

(محمد ربيع الخميسى ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠)

جـ - نظرية كارين هورنى (١٩٣٧-١٩٥٤) :

فى الوقت الذى أكد فيه فرويد على أهمية الدوافع البيولوجية وأهمية الحافز الجنسى فى نظريته نجد أن **كارين هورنى** قللت من أهمية الدوافع البيولوجية وأكدت على حاجة الطفل للأمن وهكذا يمكن القول بأن نظرية فرويد بيولوجية . أما نظرية كارين هورنى اجتماعية ، ولقد حددت هورنى عام (١٩٤٢) عشر حاجات عصابية وهى حاجات لدى كل إنسان تقريبًا وهذه الحاجات التى أكدت عليها هورنى كالآتى :

١- **الحاجة العصابية إلى العطف والموافقة** : وهذا الشخص يعيش لكى يحبه الآخرون ويعجبون به .

٢- **الحاجة العصابية إلى شريك يسير الحياة** : مثل هذا الشخص يحتاج إلى الارتباط والانتساب إلى شخص يحميه من الخطر ويُشْبِعُ حاجاته .

٣- **الحاجة العصابية لأنْ يعيش الفرد حياته داخل حدود ضيقة** : ومثل هذا الشخص محافظٌ جدًا ويتجنب الهزيمة بمحاولته تحقيق القليل .

٤- **الحاجة العصابية للقوة** : هذا الشخص يمجد القوة ويحتقر الضعف .

٥- **الحاجة العصابية إلى استغلال الآخرين** : هذا الشخص يفزع من استغلال الآخرين له أما إفادته من الآخرين لا تستحق الذكر .

٦- **الحاجة العصابية إلى التقدير الاجتماعى** : وهذا الشخص يعيش لكى يُقَدَّرُ ، والهدف الأعلى له هو تحقيق الشهرة كأنْ يهتم بظهور اسمه فى الصحف .

٧- **الحاجة العصابية إلى الإعجاب الشخصى** : ويعيش هذا الشخص لكى يُثنى عليه ويُمْتَدَحُ من الآخرين .

٨- **الحاجة العصابية إلى الطموح والإنجاز الشخصى** : ويكون لدى هذا الشخص ميل إلى الشهرة والغنى وتحقيق الثروة .

٩- **الحاجة العصابية إلى الاكتفاء الذاتى والاستقلال** : ومثل هذا الشخص لا يريد أن يرتبط بأى التزام إزاء أى فرد .

١٠- **الحاجة العصابية إلى الكمال وعدم التعرض للهجوم** : ويحاول هذا الشخص أن يكون خاليًا من العيوب .

وفى عام ١٩٤٥ لخصت كارين هورنى الحاجات العصابية العشر إلى ثلاث فئات رئيسية :

- التحرك نحو الناس . - التحرك ضد الناس . - التحرك بعيدًا عن الناس .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ص ١٣٥-١٤٢)

٦ - نظرية موراى عن الحاجات :

عرف **موراى** (١٩٣٨) الحاجة بأنها مركب (تخيل مناسب ، مفهوم فرضى) يمثل قوة فى منطقة المخ ، قوة تنظيم الإدراك ، الفهم ، التعقل ، النزوع والفعل بحيث تحوّل الموقف القائم غير المشبع فى اتجاه معين . وتستثار الحاجة أحيانًا استثارةً مباشرةً من جراء عملياتٍ داخليةٍ من نوعٍ معينٍ ، ولكن الأكثر شيوعًا أن تستثار الحاجة فى حالة

الاستعداد بوقوع واحدٍ من تلك الضغوط القليلة ، والتى يغلب أن تكون ذات تأثير قوى بيئية . وهكذا تعبر عن نفسها من خلال دفعها الكائن الحى من أجل البحث عن أنواع معينة من الضغوط ، أو إلى تجنب الاصطدام بها ، أو الاستجابة إليها . وكل حاجة يصاحبها – نوعيًا – شعورًا أو انفعالاً خاصًا وتنزع إلى استخدام أساليب معينة تدعم اتجاهها وهى قد تكون ضعيفة أو قوية ، مؤقتة أو مستمرة . ولكنها عادة ما تثابر وتؤدى إلى نمط معين من السلوك الظاهر والذى يغير الظروف البادئة بطريقة تكفل للموقف نهاية تهدئ الكائن .

(Murray, 1938, pp. 123-124)

وأشار **موراى** (١٩٣٨) إلى أنه يمكن الاستدلال على وجود الحاجة من العناصر الآتية :

- أثر السلوك أو نتيجته النهائية .
- النمط أو الأسلوب الخاص للسلوك المتضمن .
- الانتباه الانتقائى والاستجابة لنوع خاص من موضوعات التنبيه .
- التعبير عن الإشباع حين يتحقق تأثير خاص ، أو الضيق حين لا يتحقق ذلك التأثير .

(Murray, 1938, p. 124)

ولقد اهتم موراى بتحليل الحاجات اهتمامًا بالغًا وصنفها إلى أنماطٍ مختلفة ، وفيما يلى أكثر هذه التصنيفات أهمية :

أ – الحاجات الأولية والحاجات الثانوية :

- **الحاجات الأولية :** وهى حاجات حشوية المنشأ "Viscerogonic" وهى تتولد وتخمد بواسطة إحداث دورية متميزة أى أنها تتعلق بإشباعات جسمية ، ومن أمثلة هذه الحاجات الحاجة إلى (الماء – الهواء – الطعام – الجنس ...إلخ) .
- **الحاجات الثانوية :** وهى حاجات نفسية المنشأ "Psychologenic" وتسببها توترات غالبًا ما تكون مصحوبة أو غير مصحوبة بانفعال ، وهذه التوترات تعتمد بشكلٍ وثيقٍ على شروط خارجيةٍ معينةٍ أو على صورٍ تمثل هذه الشروط ويحتمل أن تكون هذه الحاجات مشتقةً من الحاجات الأولية ولكنها تتميز بعدم وجود وصلة مركزية بينها وبين أى عمليات عضوية معينة أو أى إشباعات بدنية ، وهى تمثل أنظمة الاستجابات الشائعة

والرغبات "Wishes" وليس من المعتقد أنها حوافز أولية بيولوجية بالرغم من أن بعضها قد يكون فطريًا "Innate" ومن أمثلة هذه الحاجات النفسية المنشأ :

الحاجة إلى التملك "Acuqisition" ، الحاجة إلى النظام "Order" ، الحاجة إلى الإنجاز "Achievement" ، الحاجة إلى الاستعراض "Exhibition" ، الحاجة إلى السيطرة "Dominace" ، الحاجة إلى الخضوع "Deference" ، الحاجة إلى العطف .

(Murray, 1938, pp. 77-80)

ب - الحاجات الظاهرة والكامنة : "Manifest - Latent Needs"

- **الحاجات الظاهرة :** "وهى تلك الحاجات التى تُعبِّرُ عن نفسها عادةً فى صورة سلوكٍ حركىٍ . ويرى موراى أن الدافع يكون ظاهرًا عندما يكون محسوسًا فى السلوك الظاهرى جسميًا أو لفظيًا ، وأن يكون مرتبطًا بموضوعات وأشياء حقيقية . وقد قدم موراى قائمته الشهيرة عن الحاجات الظاهرة وتتضمن ١٩ حاجة :

١- الحاجة إلى لوم الذات .	Need of Abasement
٢- الحاجة إلى الإنجاز .	Need of Achievement
٣- الحاجة إلى التواد .	Need of Affiliation
٤- الحاجة إلى العدوان .	Need of Aggression
٥- الحاجة إلى الاستقلال .	Need of Autonomy
٦- الحاجة إلى المضادة .	Need of Counteraction
٧- الحاجة إلى الداعية .	Need of Defendence
٨- الحاجة إلى الخضوع .	Need of Deference
٩- الحاجة إلى السيطرة .	Need of Dominance
١٠- الحاجة إلى الاستعراض .	Need of Exhibition
١١- الحاجة إلى تجنب الألم .	Need of Harmavoidance
١٢- الحاجة إلى تجنب المذلة .	Need of Infavoidance
١٣- الحاجة إلى العطف .	Need of Nurturance

١٤- الحاجة إلى النظام . Need of Order

١٥- الحاجة إلى اللعب . Need of Play

١٦- الحاجة إلى النبذ . Need of Rejection

١٧- الحاجة إلى المعاضدة . Need of Succorance

١٨- الحاجة إلى الجنس . Need of Sex

١٩- الحاجة إلى الفهم . Need of Understanding

- **الحاجات الكامنة** : وهى الحاجات التى تقيد أو تكبت (أى يُصيبها الكف) أو تكبت بصفة عامة . ويرى موراى أن الدافع يكون كامناً ، وليس ظاهرًا أو غير محسوس أو مكفوفِ أو مكبوتِ أو خيالى عندما لا يؤدى إلى سلوكٍ ظاهرٍ حادٍ ولكنه يتخذ شكل الرغبة أو قراراتٍ للمستقبل أو الأوهام أو الأحلام أو اللعب أو الإبداع الفنى . ولقد وضع موراى قائمة بالحاجات الكامنة تتكون من ثمانى حاجات كالآتى :

١- الحاجة إلى لوم الذات . Rpressed Absment Need

٢- الحاجة إلى العدوان المكبوت . Repressed Aggression Need

٣- الحاجة إلى الإدراك والمعرفة المكبوتة . Repressed Cognizance Need

٤- الحاجة إلى السيطرة المكبوتة . Repressed Dominance Need

٥- الحاجة إلى الاستعراض المكبوت . Repressed Exhibition Need

٦- الحاجة إلى الجنس المكبوت . Repressed Sex Need

٧- الحاجة إلى الجنسية المثلية المكبوتة . Repressed Homesexuality Need

٨- الحاجة إلى الاستنجاد المكبوت . Repressed Succorance Need

(Murray, 1938, pp. 144-146)&(Kelly and Roger, 1993, p. 268)

جـ - الحاجات الشعورية والحاجات اللاشعورية : Conscious-Unconscious Need

- **الحاجات الشعورية** : ويعنى موراى بالحاجات الشعورية ما يمكن إدراكه بالاسترجاع المباشر وما يستطيع أن يعبر عنه الشخص . ووفقا لهذا المعيار فإن الشعور يعتمد على التعبير اللفظى وتكوين الحقائق الشعورية وربما تكون ذاتية أو موضوعية ، وكمثال فإن كثيرًا من الرغبات الشعورية لا تتضح فى السلوك ، وهذا حد الفرق بينها وبين الحاجة الظاهرة .

- **الحاجات اللاشعورية** : ويعنى موراى بالحاجات اللاشعورية كل ما لا يمكن إدراكه بالاسترجاع المباشر وما لا يستطيع أن يعبر عنه الشخص . وما يمكن الاستدلال عليه وكان مؤثرًا فى توجيه السلوك ، والحاجة اللاشعورية ربما تكون - أيضًا - ذاتية أو موضوعية وكثير من الحاجات اللاشعورية تظهر فى الأفعال التى يمكن أن تؤول بواسطة الآخرين .

ورأى موراى أن الحاجات اللاشعورية تكون غاية فى الصعوبة من حيث تعديلها ، ومن هنا فإن خطوة من خطوات التوتر فى الشخصية أن يصبح اللاشعور شعورًا . وتُعَبِّرُ الحاجات اللاشعورية غالبًا عن نفسها فى الأحلام والرؤى وأفعال تتسم بالفوران الانفعالى وعدم التروى وفى ذلات اللسان وذلات القلم ، وفى إيماءات شرود الذهن ، وفى الضحك ، وفى أشكالٍ متعددةٍ من الأفعال مندمجة (شعوريًا) مع حاجات يمكن قبولها اجتماعيًا ، كما يمكن أن تعبر عن نفسها فى أشكال القهر المختلفة ، وفى العواطف التى تتخذ شكلاً موضوعيًا ، وفى الإسقاطات والأوهام ، وفى أعراض الهستيريا التحويلية بصفة خاصة .

(Murray, 1938, pp. 113-115)

تعقيب العلماء على نظرية موراى :

تعرضت نظرية موراى لعملية مستمرة من إعادة الفحص والتعديل وبرغم ذلك فهناك عناصر معينة تقف بثبات فى وجه هذا التيار المستمر فلم يتذبذب فى أى وقت اهتمامه بالعملية الدافعية ولم يُبْدِ موراى أى ميل للتخلى عن نشاطاته الوصفية والتصنيفية . ويرجع الفضل لنظرية موراى فى تأكيدها على أهمية المصادر اللاشعورية للدوافع ، بالإضافة إلى أنها أكدت على العلاقة بين العملية النفسية وعملية المخ .

ولقد حققت نظرية موراى الفائدة لكثيرٍ من الباحثين والإكلينيكيين المهتمين بدراسة الشخصية واستخدامهم لمفهوم الحاجة والضغط اللذان أدخلهم موراى من خلال نظريته عن الدافعية ، ولكن يؤخذ على موراى كثرة التصنيفات والتقسيمات الدقيقة التى أدخلها خلال معالجته لعملية الدافعية فأدى ذلك إلى انقسام أصحاب نظريات الشخصية المحدثين إلى قسمين : القسم الأول عَبَرَ طريق أكثر بساطة حيث إنه أرجع السلوك إلى عدد بالغ الصغر

من الدوافع المركزية بحيث يبدو كل شيء كما لو كان منبعثًا من تلك الدوافع الرئيسية . أما القسم الثانى فقد عَبَرَ طريق أكثر تعقيدًا حيث اعتقد أن هناك عددًا بالغ الكثرة من الدوافع وأن كل فرد إنما توجهه دوافع تبلغ من التعقيد ومن الاختلاف المتفرد عن بقية الأفراد حدًا لا يمكن معه تخصيص الدوافع التى يمكن أن تنطبق بشكل مناسب على أكثر من شخص واحد ، وينفى هذا الطريق جدوى أى محاولة للتصنيف العام للدوافع .

ويرتبط نقد نظرية موراى ارتباطًا وثيقًا بأصالة النظرية واتساعها وتعقيدها فعلى الرغم من أنه أدخل الكثير من المفاهيم مثل : مفهوم الحاجة ، الضغط ، إلا إنه لا توجد مجموعة من الفروض النفسية المحددة المرتبطة بتلك المفاهيم بطريقة تكفل قابلية نتائجها للاختبار التجريبى .

كذلك يؤخذ على نظرية موراى الاتساع الكثير إلى الحد الذى أفقدها القوة والصرامة التى تتصف بها وجهات النظر الأكثر تحديدًا أو تخصيصًا . فيبدو أن نظرية موراى قدمت الكثير بحيث إنه لا يوجد شيء منفرد قد تناولته النظرية بإكبار واعتقاد يجعله متميزًا عن بقية النظريات أو يجعل النظرية نفسها متميزة عنه .

(هول لندزى ، ١٩٧١ ، ص ص ٢٦٧-٢٧٠)

٧ - نظرية بافلوف عن الحاجات (١٩٢٧) :

فى الوقت الذى كان فيه لدينا المرتكزات الأساسية فى تطور علم النفس التعليمى والتى بدأت بالعالم "ثورنديك" كان هناك اتجاهٌ آخر موازٍ له ، وبدأ هذا الاتجاه بالعالم **بافلوف** (١٩٢٧) ، ومن المُلاحظ فى نظرية بافلوف أنه لم تظهر لديه أى مفاهيم عن الدافعية ؛ وربما يرجع السبب فى ذلك إلى أن بافلوف أجرى تجاربه على الحيوانات تحت شروطٍ معينةٍ ، وذلك حتى يرى ردود أفعال هذه الحيوانات ؛ ولذلك لم يكن هناك حاجةٌ فى نظرية بافلوف لاستخدام متغير النشاط أو (الدافع) وهذا بالطبع يمثل التفسير الظاهرى لبافلوف لعدم وجود مفهوم الدافعية . وإذا تأملنا بدقة نظرية بافلوف فسوف نجد أن عملية الأشراط وتوجيه السلوك عند الحيوان فى الموقف التجريبى كانت تتحدد بواسطة التفاعل الدينامى المعقد بين عمليتين أساسيتين هما : عملية الإثارة ، عملية الاثباط (الكف) ؛ ولذلك كان المعنى التقليدى للدافعية يتمثل فى عملية الإثارة التنشيطية ، بالإضافة إلى ذلك كان هناك نوعٌ من الارتباط بين الدافعية

والمثير غير الشرطى الذى يدعم عملية الأشراط إذا كانت متبوعة بالمثير الشرطى ، والذى يتمثل فى المعنى التقليدى عند "هوليان" إما بخفض الحافز مثل (الطعام) أو استثارة الحافز مثل (التعرض للصدمات الكهربائية) . ولقد أشار بافلوف إلى ما يعرف بالفعل المنعكس الشرطى وأهميته باعتباره عاملاً فى تكوين كل رد فعل شرطى .

(Benjamin, 1973, p. 677)

٨ - نظرية برسكوت عن الحاجات (١٩٣٨) : "Prescott"

"لقد توصل **برسكوت** (١٩٣٨) إلى أن الحاجات الضرورية لنمو الفرد تقع فى ثلاثة أنواع وهى :

١- **الحاجات الفسيولوجية :** مثل الحاجة إلى : المأكل ، الملبس ، المأوى ، والحاجات الخاصة بنظام العمل والراحة والنشاط الجنسى .

٢- **الحاجات الاجتماعية :** وهى تتضمن الحاجة إلى : الحب ، الانتماء ، الحاجة إلى أن يكون الفرد كالآخرين .

٣- **حاجات الأنا والحاجات التكاملية :** وهى مثل :

أ - الحاجة إلى خبرات تقوى الصلة بالواقع .

ب - الحاجة إلى الانسجام والتوافق مع الواقع .

جـ - الحاجة إلى التنظيم المستمر للخبرة والتوجه الذاتى المستمر والتوازن بين النجاح والفشل .

د - الحاجة إلى تكوين شخصية فردية متميزة .

هـ - الحاجة إلى البصيرة النافذة وانتقاء الأشياء والمواقف المتصلة بإشباع الحاجات النفسية" .

(John, E. and Horrocks, 1962, p. 509)

٩ - نظرية ميللر و دولارد فى الحاجات (١٩٥٠) : "Miller-Dollard"

"وفى عام ١٩٥٠ قام **ميللر** بالتعاون مع **دولارد** لتطبيق مبادئ نظرية "هل" فى مجال التعلم الاجتماعى ونظرية الشخصية ، بالإضافة إلى ذلك قام ميللر بتطوير نظرية السلوك

الصراعى Conflict-Behavior . ولكن المفاهيم ذات الأهمية العظمى والتى ظهرت فى نظرية ميللر كانت تنطوى على أربعة مفاهيم أساسية : ١- مفهوم الحافز Drive . ٢- مفهوم العلامة (الدالة) Cue . ٣- مفهوم التعزيز (المكافأة) Reward . ٤- مفهوم الاستجابة (Response) . ويُعرَّف ميللر الحافز بأنه "أى استثارة تكون لها من القوة بدرجة كافية لتزويد السلوك بالطاقة ، ومع ذلك فالحافز يقتصر فقط على تزويد السلوك بالطاقة ولكنه لا يوجه السلوك ، والسلوك يتزود بالطاقة حتى يتم خفض الحافز مما يجعل التعلم يتحقق . أما تعريف التعزيز "Reward" فهو الشىء الذى يؤدى إلى (خفض الحافز Drive-reduction) ويكون خفض الحافز تعزيزًا للاستجابات التى تستحثها مثل هذه المثيرات .

وهناك مميزاتٍ كثيرةٍ فى تعريف الحافز على أنه نوع من (الاستثارة) :

- **الميزة الأولى** : أنه أصبح من الممكن تطبيق قانون التعميم وقوانين التعلم الأخرى على الحافز .
- **الميزة الثانية** : أن ميكانزم الدافعية الأساسية (قوة الاستثارة) هى الأساس فى دفع الحوافز الأولية والحوافز المتعلمة . وميكانزم التعزيز الأساسى المتمثل فى خفض الاستثارة القوية يعمل على تعزيز المكافأة الأولية والمتعلمة" .

(Benjamin, 1973, p. 676)

١٠- نظرية كيرت ليفين فى الحاجة (١٩٣٩) : "Kurt Liven"

"تعتبر نظرية ليفين هى النظرية الوحيدة التى كانت ترتبط - بأى شكل من الأشكال - بعلم النفس التجريبى الحديث وكان "ليفين" ينتمى إلى مدرسة الجشتلطت بل كانت نظريته تتضمن كثيرًا من مبادئ هذه النظرية وكان ليفين يعمل مع مؤسسى هذه النظرية من أمثال : (فرتهيمر ، كوفكا ، كوهلر) وكان أول عمل قام به ليفين هو (الميول المحددة) "Determining Tendencies" لأنماط السلوك .

(Benjamin, 1973, p. 680)

"ولقد أخرج كيرت ليفين الدافعية الإنسانية خارج نطاق الارتباطات الشرطية الكلاسيكية ، وفاضل بينها وبين الدافعية الحيوانية ، كما وردت فى نظريات التعلم التى سادت

فى بداية القرن العشرين وظهرت تأكيداته على الميول المحددة لأنماط السلوك باعتبار أن تلك الميول تشكل القوى الدافعية الأولية . وبنى ليفين نظريته على مفاهيم تختلف عن مفاهيم نظريات التعلم مثل : مفهوم القوة النفسية ، القيمة الذاتية ، المساقة النفسية ، مجال القوة ، الصراع النفسى ، مستوى الطموح ، الدافع ، والنشاط البديل" .

(محمد رفقى عيسى ، ١٩٨٨ ، ص ٤٠)

ومفهوم الدافعية عند ليفين يتضمن ما يمكن أن نُطلق عليه "التنظيم الانفعالى" فى مدارجه المختلفة ، أى يشمل كل المفاهيم التى تبدأ باستجابات القبول والرفض وتنتهى بالاستجابات الصادرة عن قيمٍ معينةٍ . ويرى ليفين أن الدوافع تلعب دورًا هامًا فى تفسير التعلم إذ أنه يؤكد أن المجال حينما يكون ساكنًا بالنسبة للفرد فإنما يحدث ذلك نتيجة وجود حالة من التوازن بين الفرد وقوى المجال الخارجى ، ولكن إذا شعر الفرد بحاجة فسيولوجية ، أو نفسية فإن هذا التوازن يختل . الأمر الذى يترتب عليه نشوء حالة من التوتر تدفع الفرد إلى إجراء أساليب معينة من السلوك لإزالة التوتر .

(أحمد زكى صالح ، ١٩٧١ ، ص ص ٣٩ ، ٢٤٠)

أما الحاجة عند ليفين فهى مساوية لمصطلحات (الدافع والرغبة والحافز) ويرى ليفين أن هناك من الحاجات بمقدار ما يوجد من رغبات نوعية قابلة للتمييز فقط . فقد يكون لدى الفرد حاجة للجنس أو حاجة لنوعٍ معينٍ من الطعام وقد يكون لديه حاجة لأن يسمع الحركة الثالثة من سيمفونية معينة . ولم يحاول ليفين أن يضع ثبت بجميع الحاجات ولا أن يرد الحاجات النفسية إلى حاجة واحدة لأنه شعر أن معرفتنا محدودة جدًا عن الحاجات بحيث يتعذر أن نضع لها نسقًا وترتيبًا على نحوٍ ما وهو يرى أن الحاجات التى توجد حاليًا لدى الفرد والتى تؤثر فى الموقف الحاضر هى الحاجات الهامة وحدها . فعلى سبيل المثال فإن كل فردٍ قادرٌ على أن يشعر بالجوع ولكن لا ينبغى أن ندخل هذه الحاجة فى الاعتبار إلا حين تكون الحاجة للطعام مقلقة لتوازن الشخص . ويرى ليفين أن هناك مجموعة من العلاقات الممكنة بين الحاجات ومنها : الإبدال ، الاندماج ، السيطرة .

- **الإبدال :** فقد يريد الشخص – مثلاً – أن يشاهد برنامج تليفزيون ويريد – أيضًا – أن يقرأ كتاب ، وبعد مشاهدة البرنامج قد يشعر بعدم الرغبة فى قراءة الكتاب عندئذٍ نقول إن الشخص أبدل نشاط بنشاط آخر .

- **الاندماج :** وهو نمط آخر من أنماط العلاقات بين الحاجات لأن السلوك فى أى موقف معين ينتج عادة من ائتلاف مجموعة من الحاجات ، وقد أطلق ليفين على الحاجة التى تُشتق من هذا الاندماج حاجة مشتقة فمثلاً : الشاب الذى يرغب فى دراسة الطب قد يشتق حاجته هذه من الحاجة إلى الشهرة .

- **السيطرة :** وتتمثل هذه العلاقة فى سيطرة حاجة على أخرى فإذا كان لدى الشخص حاجةَ قويةَ للقيام برحلةٍ حول العالم ، فلكى يُشْبِعُ هذه الحاجة سوف يلجأ إلى اقتصاد بعض المال ، وتقديم طلبٍ لرئيسه فى العمل لطلب أجازة ، ويشترى بعض الملابس الجديدة ، ويقوم بالتجهيزات الضرورية . إذن فالحاجة للقيام برحلة تُسيطر على مقاصده التى تتصل بالرحلة .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ص ٤٤٩-٤٨٠)

"ومن هنا فيعرِّف ليفين الحاجة المستثارة "Awakened Need" بأنها حالة توتر لدى الفرد واستعداد للعمل ولكن دون اتجاه معين وتحدد وجهتها بوجود شىء يتصف بالجاذبية السلبية أو الإيجابية ، وحينئذٍ توجد القوة الموجهة التى تؤدى إلى الحركة نحو الشىء أو منه" .

(محمد مصطفى زيدان ، ١٩٨٤ ، ص ٢١)

تعقيب العلماء على نظرية كيرت ليفين :

قامت نظرية كيرت ليفين على نتائج الكثير من التجارب فى الدوافع وحول كثيرٍ من المشكلات فيها مثل التوتر الناجم عن عدم إتمام عملية من العمليات واستمرار هذا التوتر حتى تتم ، وكذلك المستوى الطموحى وعلاقته بتحديد الهدف والوصول إليه .

(محمد مصطفى زيدان ، ١٩٨٤ ، ص ٢٧)

ولعل أهم ما يميز نظرية ليفين اتساق مفرداتها ، وتحديد العلاقة بينها فى معادلات رياضية تماثل معادلات النظريات العلمية المادية ، ولكن تلك المعادلات كانت سببًا فى توجيه النقد لهذه النظرية باعتبارها غير محددة فى ارتباطها بالواقع الملاحظ ، وصعوبة إخضاع مفاهيمها للتعريفات الإجرائية المحددة ، إلى جانب تقاليها للبعد التراكمى للخبرة النفسية . وقد رأى ليفين أن هناك حاجةً ماسةً إلى مبدأ يفسر بداية السلوك واستمراره ، وأن يأخذ علم النفس

مسارًا أكثر إقناعًا فى دراسته لمحددات السلوك من مجرد الاستغراق فى تصنيفات حدسية ، أو الاعتماد على تصور لردود الأفعال الانعكاسية ذات البعد الفسيولوجى المحض ، ولكن ليفين سقط فى التصور المادى للإنسان وظن أن نظرية النسبية يمكن أن تؤيده فى إرجاع التفاعل الواقع بين الإنسان وبيئته إلى صورة من صور المعادلات الرياضية . كما أن مبدأ المعاصرة الذى أكد عليه ليفين قد أغفل استمرارية السلوك الإنسانى ولم يعط القدرة البشرية على تركيم الخبرة البعد الكافى لها فى تحريك الصورة الحالية من السلوك ، ورغم أن نظرية كيرت ليفين اهتمت بمفاهيم مثل مجال الموقف أو حيز الحياة إلا أن هذه المفاهيم فى تطبيقاتها الإجرائية اقتصرت على مجالات جزئية يقتصر فيها حيز الحياة على المجال النفسى للموقف ذاته وانفصال كل موقفٍ بما له من مؤثرات .

(محمد رفقى عيسى ، ١٩٨٨ ، ص ص ٤٨-٤٩)

١١ - إريك فروم ونظريته عن الحاجات (١٩٥٥) : "Erick Fromm"

"يرى فروم أن فهم نفس الإنسان لابد أن يُبنى على تحليل حاجاته النابعة من ظروف وجوده . ويحدد فروم خمسة حاجات نابعة عن ظروف وجود الإنسان :

أ - الحاجة إلى الانتماء . ب - الحاجة إلى التعالى .

جـ - الحاجة إلى الارتباط بالجذور . د - الحاجة إلى الهوية .

هـ - الحاجة إلى إطار توجيهى .

وأشار فروم إلى أن الحاجة إلى الانتماء تنبع من حقيقة مؤداها أن الإنسان عندما أصبح إنساناً تمزقت لديه عُرى الوحدة الحيوانية الأولية بالطبيعة ، وأصبح عليه أن يخلق علاقاته الخاصة به ، وهى تلك القائمة على الحب الذى يتضمن الرعاية المتبادلة والاحترام . أما الحاجة إلى التعالى فتشير إلى حاجة الإنسان إلى الارتفاع فوق طبيعته الحيوانية ليُصبح شخصًا خلاقًا بدلاً من أن يظل مخلوقًا . أما الحاجة إلى الارتباط بالجذور فيرى أن الإنسان يرغب فى أن يكون جزء من العالم وأنْ يشعر أنه ينتمى إليه .

والحاجة إلى الإحساس بالهوية هى أن يكون الإنسان فريدًا ومتميزًا . وأخيرًا حاجة الفرد إلى إطارٍ مرجعيٍ وإلى طريقة ثابتة مستقرة فى إدراك العالم وفهمه" .

(هول لندزى ، ١٩٧١)

١٢ - نظرية إريكسون فى الحاجات (١٩٥٠) :

ويقول **إريكسون** إنه إذا ما قامت دافعية الحياة لدى الأفراد على مبدأ التدرج المرحلى لمسار هذه الحياة لدى الفرد ؛ فإن ارتباط التطور فى دوافع الحركة بمفهوم مراحل النمو الإنسانى يعتبر أمرًا أساسيًا ، ويبنى عليه التطور النوعى فى الحاجات اللازمة لسلامة الحركة فى هذا المسار ، وعلى ذلك فإن الأفراد من خلال مراحل نموهم تنشأ لديهم حاجاتٍ مرتبطةٍ بتلك المراحل ، مما يستوجب التعرف عليها والاعتراف بها وتحقيقها . ويُطلق على هذه الحاجات المرحلية مصطلح مطالب النمو "Developmental Tasks" ويعتمد هذا المفهوم على جانبين : الأول أن مراحل النمو المختلفة عند الإنسان تتطلب أمورًا تختص لكل مرحلة دون سواها وأن أى قصورٍ فى إشباع هذه المطالب سوف يؤدى إلى وجود خللٍ .

أما الجانب الثانى فهو أن الكائنات الحية تحتاج إلى تدخلٍ من المجتمع من أجل إشباع هذه الحاجات ، ويشير إريكسون إلى أن كل مرحلةٍ من مراحل النمو ترتبط بدافعيةٍ معينةٍ تستهدف إشباع الحاجة المتمثلة فى مطالب النمو فى هذه المرحلة ؛ ولا تنفصل دافعية مرحلة عن سابقتها بمعنى أن إشباع حاجات أى مرحلة يعتمد على إشباع حاجات المرحلة السابقة أو المراحل السابقة . وترتبط نظرية إريكسون فى النمو النفسى الاجتماعى ارتباطًا لصيقًا بنظرية فرويد خاصة فى المراحل الأولى من النمو حيث تقابل مراحله مراحل فرويد . ولكن إريكسون تأثر بمبدأ الواقع المكون للأنا أكثر من ارتباطه بمبدأ اللذة واعتبره قمة النمو ، أو هو الدافع الأساسى للحياة . ومن هنا كانت الدوافع فى نظرية إريكسون نفسيةً اجتماعيةً "Psychosocial" وكانت عند فرويد نفسيةً جنسيةً "Psychosexual" .

(محمد رفقى عيسى ، ١٩٨٨ ، ص ص ٣٢-٣٥)

تعقيب العلماء على نظرية إريكسون :

نظر **إريكسون** للدوافع نظرةً مختلفةً تمامًا عن النظريات السابقة فهو لا يرى أن سلوك الإنسان يكون مدفوعًا بغرائز معينة أو أن سلوك الإنسان توجهه مثيراتٍ بيئية معينةٍ ، ولكن ربط إريكسون بين دوافع الإنسان وبين مراحل نموه (أى أن كل مرحلة من

مراحل النمو مرتبطة بدوافع معينة) لذلك فالدوافع عند إريكسون متدرجة تبعًا لمراحل النمو التى يمر بها الإنسان .

ولذلك يتشابه إريكسون مع ماسلو فى هرمية الدوافع فيرى كلاهما أن دوافع الإنسان تختلف من مرحلةٍ لأخرى ، فمثلاً فى مرحلة الطفولة تكون دوافع النمو أو مطالب النمو تتمثل فى إشباع الحاجات الفسيولوجية مثل الحاجة للطعام والماء والهواء والإخراج ، وهكذا فعندما يصل الإنسان إلى مراحل النمو الأعلى ترتقى معه حاجاته حيث تكون هذه الحاجات ذات صبغةٍ نفسيةٍ اجتماعيةٍ .

(محمد رفقى عيسى ، ١٩٨٨ ، ص ٣٣)

١٣ - النظرية الإنسانية : "Humanitic Theory"

نظر المذهب الإنسانى فى علم النفس إلى الإنسان باعتباره إنسانًا ولم ينظر إليه كتكوين بيولوجى مزوَّد بعدد من القوى الغريزية . أو كتكوين عصبى مكون من عدد من الوصلات العصبية بين مثيرات واستجابات ، وإنما نظر إلى الإنسان نظرة كلية شمولية فى حياته مع ماضيه وحاضره ، وما يشده إليه مستقبله . ونجد أن أصحاب هذا المذهب لا يرفضون وجود غرائز عند الإنسان ، كما أنهم لا يرفضون وجود وصلات عصبية بين الخلايا العصبية ، وكذلك لا يرفضون الدور الذى تقوم به عملية التعلم فى تشكيل سلوك الإنسان ، غير أنهم لا يعطون لغرائز الإنسان ولا لهذه الوصلات العصبية ما أعطاه الفرويديون والسلوكيون لها من أهمية إذ يعطون الأهمية لدوافع أخرى هى التى تحدد للفرد بعض جوانبه الإنسانية فهم يعطون أهمية كبرى للقيم العُليا مثل : الحق ، والخير ، والعدل ، والجمال ، والأمانة ، وغير ذلك من قيمٍ تضفى على الفرد إنسانيته ، وتميزه عن غيره من الكائنات الحية .

(عبد السلام عبد الغفار ، ١٩٨١ ، ص ص ٨١-٨٢)

وسوف **تتحدث الباحثة** عن نظرية الحاجات عند أشهر علماء هذا المذهب وهما :

أ - إبراهام ماسلو . ب - كارل روجرز .

أ - نظرية الدافعية الإنسانية عند ماسلو : Abraham Maslow

إن أساس نظرية ماسلو يكمن فى نموذجه للدافعية الإنسانية "افترض ماسلو أن حاجات الفرد تكون مرتبة ومنظمة فى تسلسل هرمى ، وأن هذه الحاجات تنشط وتستثار وفقا لهذا التنظيم الهرمى "Hierarchy" ، وكان هذا التنظيم يتكون فى قاعدته من الحاجات الفسيولوجية وهى تمثل الحاجات الأساسية للإنسان مثل الحاجة إلى (الماء - الطعام - الجنس - الإخراج - الهواء) . أما حاجات المستوى التالى فهى حاجات الأمن Safety Need . ثم يلى هذا المستوى حاجات الحب والانتماء . والمستوى الرابع حاجات تقدير الذات ويستمر التنظيم هكذا صاعدًا حتى يصل إلى حاجات تحقيق الذات ، وافترض ماسلو أن الحاجات الأدنى الأساسية يجب أن تشبع - أولاً - قبل أى حاجات أخرى فى التسلسل وبعد ما تشبع هذه الحاجات تبدأ حاجات المستوى الأوسط (حاجات الأمن) فى دفع سلوك الإنسان ، وأخيرًا بعد أن يشبع الإنسان كل هذه الحاجات يصل إلى مستوى تحقيق الذات الذى يدفع الإنسان لإشباعه . إذن الفكرة الأساسية فى نظرية ماسلو هى تَقَدُّم الإنسان من إشباع حاجات المستوى الأدنى بالتسلسل حتى يصل إلى قمة هذا التسلسل" .

(Lilly, M., 1998, p. 239) & (Lesterm, 1995, p. 390)

ب - نظرية كارل روجرز عن الحاجات : "Carl Rogers"

"اقترح **كارل روجرز** أن للكائنات الحية نزعةٌ أساسيةٌ ، وهى التى كان يُطلق عليها اسم الحاجة إلى تحقيق الذات وهى التى تتمثل فى تأكيد وتعزيز الخبرة الذاتية ، ويسلم روجرز بأن الكائنات الحية لديها الكثير من الحاجات إلا أن هناك نزعةٌ وراثيةٌ لدى الشخص بأن يقوم بتنسيق هذه الحاجات بتتابع من أجل تحقيق الذات ، لذلك الذات كانت بمثابة النقطة الأساسية فى نظرية روجرز . ويرى روجرز أن الذات تتكون من الخبرات الحسية الأساسية ، ومن تفاعل الشخص مع البيئة المحيطة به . وبينما نظر كارل روجرز إلى الحاجة لتحقيق الذات على أنها نزعة فطرية ، وأكد على أن الطرق التى يحقق بها الناس ذاتهم كانت مليئة بالألم والمعاناة ، وأنهم مدفوعون دائمًا بالحاجة إلى الكفاح وذلك من أجل نمو وإدراك إمكانياتهم وقدراتهم .

ويعتقد كارل روجرز أن الناس تستطيع التمييز بين الشيء الجيد والشيء غير الجيد بالنسبة لهم ، وكانت الخبرات التى تعمل على بقاء وتدعيم الذات تُقَيَّمُ على أنها خبراتٌ إيجابيةٌ . أما الخبرات التى تعمل على العدوانية وضعف فى النمو فكانت تدرك على أنها خبرات سلبية ، وهكذا فعلى أساس إدراك الناس للشيء الذى يقتربون منه والشيء الذى يبتعدون عنه يمثل ذلك أساسًا لتطور الذات عند الناس .

واقترح روجرز إنه من خلال تفاعل الناس مع البيئة سوف تسعى الناس إلى تطور مفهوم الذات الإيجابى ، وكان ينظر للمفهوم الإيجابى عن الذات على أنه شعور الفرد بالاستحسان والقبول من الآخرين وأن يشعر الفرد بأنه محبوبٌ بين الناس . لذلك نظر روجرز إلى مفهوم الذات الإيجابى على أنه القوة الدافعة التى تُوَجِّه الفرد من أجل البحث عن الاستحسان والقبول والحب من الآخرين ، وهو نفس الشيء الذى جعل الناس شديدة الحساسية من توجيه النقد إليهم من الآخرين . ولذلك اعتقد روجرز أن الناس تحتاج – بشدة – إلى تطور مفهوم الذات الإيجابى حتى يدركون إمكانياتهم الحقيقية .

(Robert, 1994, pp. 12-13)

تعقيب العلماء على النظرية الإنسانية :

أشار أنور الشرقاوى إلى التنظيم الهرمى الذى قدمه ماسلو على أنه يماثل فى تسلسله مراحل عمر الإنسان . فالمستوى الأول هو الحاجات الفسيولوجية وهى تلك الحاجات التى يسعى الطفل لإشباعها فى مرحلة الطفولة المبكرة مثل حاجته إلى الطعام والماء والإخراج أما حاجات المستوى الثانى فتتمثل فى الحاجة إلى الأمن والأمان . ولا يعنى ذلك أن هذه الحاجات تقتصر فقط على هؤلاء الأطفال ولكنها تعدّ حاجات أساسية يسعى جميع الأفراد فى مختلف الأعمار ومن مختلف الجنسيات لإشباعها . أما حاجات المستوى الثالث وهى الحاجة للحب والانتماء وهى تماثل من عمر الإنسان مرحلة الطفولة المتأخرة (٦–١٢ سنة) ، وبالفعل يرغب الطفل فى هذه المرحلة فى إشباع حاجته للانتماء إلى الأفراد المحيطين به – وخاصة الأسرة – بل يرغب الطفل فى شعوره بحب وتقبل الآخرين له . أما حاجات المستوى الرابع والخامس وهى تتمثل فى الحاجة إلى تقدير الذات وتحقيق الذات وهى تماثل مرحلة المراهقة من سن (١٣–١٨ سنة) حيث يسعى الفرد إلى

تحقيق ذاته وخاصة فى مجال الدراسة والعمل . وبذلك يتضح لنا أن نظرية ماسلو نظرية شاملة نظرت للإنسان كإنسان ولم تنظر إليه ككائن بيولوجى .

(أنور الشرقاوى ، ١٩٨٤ ، ص ١٧٥)

ثالثًا : دراسة نظرية الحاجة عند ماسلو

"قدم إبراهام ماسلو "Abraham Maslow" نظريته عن الدافعية الإنسانية معتمدًا على تسلسل هرمى للحاجات النفسية ؛ وذلك لمحاولة البحث عن المبادئ الديناميكية التى تربط سمات سلوكية منفصلة ببعضها ، وتعطى مفهوم للنمو خلال الحياة ، بل وعَبْرَ الثقافات باعتبار أن أهداف الدافعية الإنسانية مشتركة ومنتشرة بين كافة البشر بغض النظر عن الفروق الثقافية . ولقد اهتم ماسلو بالإنسان ككلٍ متكاملٍ متناغمٍ ، واعتبر ذلك المفهوم أساسًا لنظريته فى نمو الدافعية ، وتقوم نظرية ماسلو على مبدأ أساسيٍ وهو أن العديد من الدوافع الإنسانية تنزع إلى الارتفاع والتصاعد التدريجى على مستويات الحاجات وذلك عندما تشبع الحاجات فى المستوى الأدنى حتى تصل إلى قمة التسلسل الهرمى حيث توجد احتياجات الإنسان لتحقيق الذات .

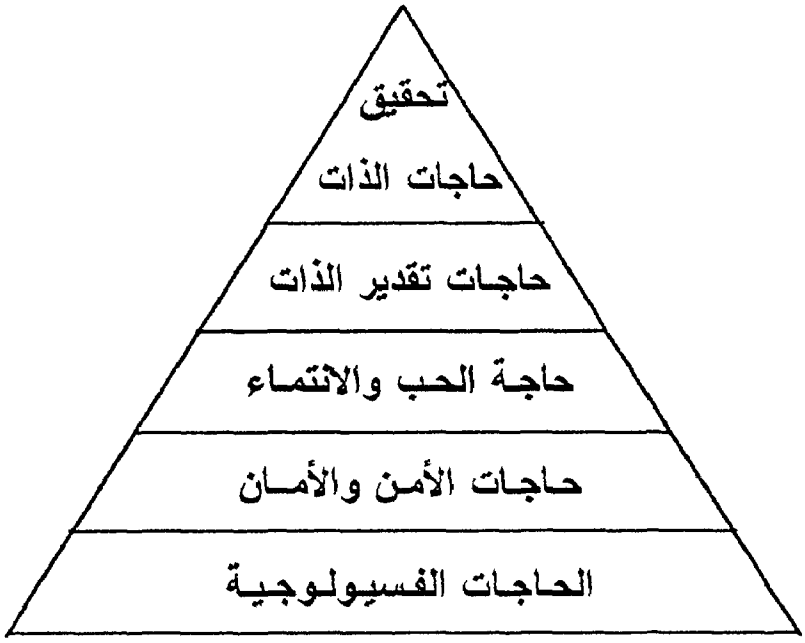

شكل رقم (٣) : التنظيم الهرمى للحاجات عند ماسلو

(Gregory Moorhead and Rickyw, 1998, pp. 123-124) &
(Maslow, A.H., 1954, pp. 63-64)

ولكن اختلف تصنيف ماسلو للحاجات عن تصنيفات العلماء الآخرين ، فقد صنف **كرونباخ** الحاجات النفسية تصنيف خماسى يتمثل فى : الحاجة إلى الحب ، والحاجة إلى علاقات الأمن مع السلطة ، والحاجة إلى موافقة الأقران ، والحاجة إلى الاستقلال الذاتى ، وأخيرًا الحاجة إلى الاقتدار واحترام الذات .

(أنور الشرقاوى ، ١٩٨٤ ، ص ٣-٤)

بينما صنف **هيلجارد** الحاجات إلى ثلاث فئات أساسية وهى : حاجات البقاء ، الحاجات الاجتماعية ، حاجات الذات .

(إبراهيم قشقوش ، طلعت منصور ، ١٩٧٩ ، ص ٤)

كذلك قام **ثورب Thorpe** بتصنيف الحاجات إلى ثلاثة فئات وهى : الحاجات العضوية ، الحاجات الذاتية ، الحاجة إلى اكتساب الأمن .

(إيمان صقر ، ١٩٩٨ ، ص ٧٣)

بينما صنف **برسكوت Perscott** الحاجات الأساسية العامة للفرد إلى : الحاجات الفسيولوجية ، الحاجات الاجتماعية ، حاجات الأنا والحاجات التكاملية .

(John, E. and Horrocks, 1962, p. 509)

ولكن يُلاحظ على التقسيمات السابقة للحاجات اختلاف العلماء فى تحديد عدد ونوع تلك الحاجات ، وذلك باختلاف الإطار المرجعى لكل منهم ، واختلاف مجالات اهتمامهم فيما يتعلق بالجوانب المراد فهم دوافعها من سلوك الإنسان .

كما افتقدت التقسيمات السابقة إلى مبدأ الدينامية الذى يمكن به ربط الأنماط السلوكية المنفصلة - معًا - وإضفاء معنى على النمو فى حياة الفرد وعبر الثقافات المختلفة ، ويلاحظ أيضًا أن هذه التقسيمات هى تنظيمات عامة لدوافع الإنسان لا تُميِّزُ بين دوافع السلوك فى مرحلة ما من مراحل النمو عن غيرها من المراحل ، على الرغم من أن دوافع الإنسان وحاجاته تتغير وتتطور ولا تبقى على حالٍ من الجمود والثبات ، ومردّ التغير فى تلك الحاجات هو ما يعترى الإنسان ذاته من تغيرٍ بيولوجيٍ أو سيكولوجيٍ ، أو ما يصيب البيئة أيضًا من تطورٍ وتغيير .

ولكن تصنيف ماسلو للحاجات فى صورة مسلسل هرمى تحاشى - إلى حدٍ ما - عيوب التقسيمات السابقة ؛ وذلك لأن هذا التصنيف قام على ثلاثة مبادئ رئيسية :

١- **مبدأ الكلية** : ويُعنى الأخذ بنظرة كلية الدافعية ؛ فالشخص ككل وليس فقط جزء منه هو الذى يكون مدفوعًا .

٢- **مبدأ الوظيفية** : ويقوم على الأخذ بنظرةٍ وظيفيةٍ ديناميةٍ لنظام الدوافع الإنسانية تتضح فى مبدأ التصاعد الهرمى للغلبة أو السيطرة الذى تعمل به الدوافع كنظام .

٣- **مبدأ الدينامية** : ويعنى الأخذ بنظرة دينامية إلى الدافعية . فالسلوك فى جوهره متعدد الدافعية Multi-motivated حيث إن أى سلوك مدفوع يمكن أن يشبع حاجات كثيرة فى نفس الوقت .

(عبد الناصر أنيس عبد الوهاب ، ١٩٨٨ ، ص ٦٧)

وهذا ما **دفع الباحثة** لتبنى تصنيف ماسلو للحاجات فى ظل دراستها للحاجات النفسية للمراهقين . وقبل أن تستعرض الباحثة نظرية ماسلو فى الدافعية الإنسانية والمبادئ والافتراضات الأساسية التى تقوم عليها هذه النظرية ، سوف توضح مبررات تبنيها لفكر ماسلو ونظريته فى الدافعية الإنسانية .

- مبررات اختيار الباحثة فكر ماسلو :

١- إن نظرية ماسلو نظريةٌ إنسانيةٌ فهى ذات نظرة شاملة ومتكاملة للإنسان فلم ينحاز ماسلو إلى أحد الجوانب على حساب الجوانب الأخرى - كما فعلت المدارس السابقة - فمثلاً لم ترتكز على الجانب البيولوجى فقط لتفسير سلوك الإنسان كما فعلت نظرية ماكدوجال ونظرية فرويد ، وكذلك لم ينحاز ماسلو إلى الجانب البيئى فقط - كما فعلت المدرسة السلوكية - ولكن نظر ماسلو للإنسان على أنه متكاملٌ يجمع بين الجانب الفطرى والبيئى ، ولذلك لم يعطِ أهميةً كبيرةً للغرائز كما فعل فرويد .

٢- اهتمام ماسلو بدراسة القيم العليا عند الإنسان مثل دراسة قيم الجمال والخير والعدل . **فلاحظت الباحثة** خلال عرضها للنظريات المفسرة للحاجة أنها لم تعطِ أى اهتمامٍ للقيم العليا فى مبادئها .

٣- نظرية ماسلو وتناسب المراحل المتطورة من عمر الإنسان بداية من مرحلة المراهقة والرشد ، وهو ما يتناسب مع العمر الزمنى لعينة البحث الحالى والتى اختارتها الباحثة

لإجراء دراستها ؛ وذلك لأن ماسلو يرى أن نظام الدافعية يأخذ فى التعقيد فى المراحل العمرية المتطورة والمعقدة ؛ لأن فى هذه المراحل لم يعد الدافع الأساسى فى حياة الفرد إشباع الحاجات الفسيولوجية (الأساسية) فقط ، ولكن تبزغ دوافع أخرى نتيجة لزيادة احتكاك وتفاعل الفرد مع المجتمع .

٤- قامت نظرية ماسلو وتصنيفه للحاجات على أساس التنظيم الهرمى ، على أساس الحاجة الأكثر سيطرة وغلبة فهى التى تحتكر وعى الفرد وتنزع به إلى تنظيم وإعداد إمكانياته المختلفة لإشباعها ؛ لذلك تعمل الحاجة كمركز لتنظيم السلوك . فنلاحظ فى هذا التنظيم أنه بدأ فى قاعدته بالحاجات الفسيولوجية وهى أكثر الحاجات غلبة وسيطرة على الإنسان ، ثم تلى ذلك حاجات الأمن فبعد أن يشبع الفرد حاجاته الفسيولوجية تبزغ لديه حاجته إلى الأمن ، ثم حاجته إلى الحب والانتماء ، وأخيرًا حاجته إلى تقدير الذات وتحقيقها .

٥- كذلك قامت نظرية ماسلو على فكرة تعددية الحاجات أى قدرة الإنسان على إشباع أكثر من حاجة فى وقت واحد أى يشبع السلوك المدفوع أكثر من حاجة فى نفس الوقت ، مثل الشخص الذى يعمل فى مجال عمل ما فإنه أثناء العمل يشبع حاجته إلى تحقيق الذات ، وفى نفس الوقت يشبع حاجته إلى الحب والانتماء من خلال الزملاء المحيطين به .

وسوف **تستعرض الباحثة** نظرية ماسلو عن الحاجات وفقًا للنقاط التالية :

١- المبادئ الأساسية التى تقوم عليها نظرية ماسلو .

٢- التسلسل الهرمى للحاجات الأساسية عند ماسلو .

٣- الشروط القبلية لإشباع الحاجات الأساسية .

٤- الحرمان من إشباع الحاجات الأساسية .

٥- إشباع الحاجات .

٦- الانتقادات التى وجهها العلماء لنظرية ماسلو .

٧- تعقيب الباحثة على نظرية ماسلو .

١ - المبادئ الأساسية التى تَبنى عليها نظرية ماسلو :

"لقد تبنى ماسلو تصورًا إنسانيًا خاصًا بالطبيعة الإنسانية وذلك على عكس التصور البيولوجى السائد فى ذلك الوقت (مذهب فرويد) وقد زعم ماسلو أن الدافعية لدى الإنسان تتعلق بما أسماه ما وراء الدافعية Meta Motivation .

(Maslow, A.H., 1973, p. 299)

أو أن دافعية الإنسان تتعلق بالحاجة إلى النمو "Growth Need" والذى يعتمد على أولويات الحاجات ويقوم بدرجة كبيرة على فهم عدد من المبادئ الأساسية وهى :

المبدأ الأول :

أن حاجات الإنسان يمكن أن تُرتَّبَ على شكلٍ هرمي تمثل قاعدته الحاجات الفسيولوجية الأساسية ، وقمَّته الحاجات لتحقيق الذات ، وما بينهما توجد حاجات تدريجية من الأسفل الحاجة للأمن والأمان ، ثم الحاجة إلى الحب والانتماء ، ثم حاجات تقدير الذات .

والفكرة الرئيسية وراء ذلك هى أن الحاجات فى المستوى الأدنى أو الأقل يجب إشباعها أولاً - ولو بشكل جزئى - حتى يصبح من السهل إشباع الحاجة فى المستوى الأعلى الذى يليه ، ولقد أشار ماسلو إلى هذا الترتيب الهرمى أحيانًا بالسلالم ، أو الرتب المُهيمنة أو المسيطرة ، والتى تعمل بها الحاجات كنظامٍ فى دافعية الإنسان .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 80-91)

فحاجات المستوى الأدنى لها الأسبقية والهيمنة على حاجات المستوى الأعلى وهذا يُعنى أن الأهمية النسبية للحاجات فى سلوك الإنسان تعتمد على مدى قُربها أو بُعدها من قاعدة الهرم التدريجى للحاجات ، فالحاجة إلى الطعام والماء والهواء مهمةٌ بالنسبة لبقاء الحياة ذاتها ، بينما لا تكون الحاجة للمكانة الاجتماعية بنفس درجة أهمية الحاجات السابقة .

المبدأ الثانى :

إن إشباع الإنسان لمجموعة معينةٍ من الحاجات فى مستوى محددٍ يترتب عليه بزوغ وانبثاق مجموعة الحاجات التى تليها فى التنظيم الهرمى .

المبدأ الثالث :

إن الحاجة الأكثر سيطرة سوف تسيطر على الانتباه والمدارك ويذهب إلى تعبئة الإمكانات المختلفة للإنسان ، بل ويعمل كمركزٍ لتنظيم السلوك ؛ وذلك لأن الحاجة المشبعة ليست بقوة دافعة فعالة . وبقدر ما تتفاعل الحاجات المسيطرة بقدر ما تخضع للإنكار والتجنب . فالسلوك تنشطه الحاجات غير المشبعة أو لأن أفعال وأنشطة الإنسان تسعى لإنهاء حالة التوتر والقلق الناتجة عن الحاجات غير المشبعة ، وعلى ذلك نستطيع تفسير سلوك الإنسان فى الحياة عن طريق التعرف على الحاجات الغير مشبعة لديه والأكثر إلحاحًا ، وذلك فى الوقت الذى يسلك فيه الإنسان سلوكًا ما . ولذلك قرر ماسلو أن الإشباع غالبًا ما يكون جزئيًا أكثر منه كليًا . والإشباع الجزئى يعتبر حالة سوية يتعلم معظم الناس أن يتعايشوا ويتكيفوا معها ، وعندما يصعد الإنسان فى هذا التنظيم تكون درجة الإشباع المطلوبة لظهور المستوى التالى أقل فأقل ، وقد افترض ماسلو أن الفرد العادى يجب أن تُشبع عنده (٨٥٪) من الحاجات الفسيولوجية قبل أن تصبح حاجات الأمن دوافع تتحكم فى سلوكه . وقد تَتَطلَّبُ حاجات الأمن نسبة إشباعٍ حوالى (٧٠٪) ، أما حاجات الحب والانتماء فتحتاج إلى إشباع حوالى (٥٠٪) تقريبًا ، وحاجات تقدير الذات تتطلب إشباع حوالى (٤٠٪) ، بينما تتطلب حاجات تحقيق الذات إشباع حوالى (١٠٪) .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 100-101)

"ولذلك يجب ألا يعطى مفهوم التدرج فى إشباع الحاجات انطباعًا خاطئًا بأن الحاجة لابد أن تُشْبَعَ بالكامل (١٠٠٪) قبل أن تتخلى عن مكانها للحاجة التى تليها – والتى تكون غير مشبعة – بذلك يكون الإنسان بالنسبة لهذه الحاجات ، وإن كانت درجة الإشباع تقل كلما اتجهنا إلى أعلى فى التنظيم الهرمى . كذلك يجب ألا نفهم من عملية التدرج الهرمى هذه أن الحاجة المُشبعة تفقد دورها فى دفع السلوك فجأة ، وكذلك بالنسبة للحاجة غير المشبعة فإنها لا تظهر فجأة – أيضًا – وإنما تظهر بالتدريج . فإذا افترضنا مثلاً أن الحاجات الفسيولوجية مُشبعةٌ بدرجة (١٠٪) فقط ، فإن الحاجة للأمن قد لا تظهر ولكن عندما يصل مستوى إشباع الحاجات الفسيولوجية إلى (٢٥٪) فإن الحاجة للأمن ستبدأ فى الظهور بنسبة (٥٪) . أما إذا ارتفع مستوى إشباع الحاجات الفسيولوجية إلى (٧٥٪) فإن الحاجة إلى الأمن ستظهر بنسبة (٥٠٪)" .

(Maslow, A.H., 1973, p. 303)

وهذا يشير إلى توقع الارتباط الموجب بين مستوى معين من الحاجات وباقى المستويات على التسلسل الهرمى للحاجات .

المبدأ الرابع :

"إن سعى الفرد لإشباع حاجةٍ ما فى مستوى ما أعلى فإن هذا يعنى أن الحاجات الدنيا تكون مشبعة نسبيًا لديه" .

(Maslow, A.H., 1968, p. 41)

المبدأ الخامس :

"إن النقص فى إشباع حاجةٍ ما سوف يؤدى إلى تحويل اهتمام هذه الحاجة من إشباع الحاجات التى تعلوها إلى مواجهة النقص المفاجئ فى إشباع هذه الحاجة . إلا أن هناك حالات تصل إلى ما أطلق عليه ماسلو اسم "الاستقلالية الوظيفية" "Functional Independency" وهى كما يذكر ماسلو تنمو الحاجة الأعلى على أساس الحاجة الأدنى فقط ، ولكن إذا ما استقرت هذه الحاجة فإنها سرعان ما تصبح مستقلةً نسبيًا عن تلك الحاجة الأدنى" .

(Maslow, A.H., 1954, P. 108)

"فالفرد الذى يشبع حاجاته لتحقيق الذات يُعَدُّ أكثر سعادةٍ وصحةٍ نفسيةٍ من فردٍ آخر لا يزال فى مستوى إشباع حاجاته للأمن ، وكذلك الفرد الذى يشبع حاجاته للانتماء أكثر سعادةٍ وصحةٍ نفسيةٍ من فردٍ آخر لا يزال يعمل على إشباع حاجاته الجسمية والفسيولوجية ، ولذلك فإن نمو وتغير حاجات الفرد يعكس خبراته فى إشباع هذه الحاجات أو إحباطها . فإذا كان الفرد يحيا حياةً غنيةً مليئةً بالإشباع لحاجاتٍ معينةٍ فإن إرضاء هذه الحاجة فى المستقبل يصبح أقل أهمية بالنسبة له مما يجعل فى الإمكان نشأة وبزوغ حاجاتٍ جديدةٍ أحدث وأعلى قدرًا" .

(Maslow, A.H., 1973, p.305)&(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p.19)

المبدأ السابع :

"يتباين نظام الحاجات عند الأفراد باختلاف مراحل نموهم وتطورهم ، فاحتياجات الطفل الصغير تنحصر فى الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن والحب إلى جانب الحاجات

الفردية لنموه ، وبعد فترة أخرى تبدأ حاجات الطفل تتنوع وتظهر بعض الحاجات الأخرى مثل حاجة الطفل إلى التقدير الذاتى ، وحاجته إلى الأصدقاء ، ثم تظهر بعد ذلك الحاجة إلى تحقيق الذات والمعرفة والفهم ، ثم التذوق الجمالى . ويرى ماسلو أن قليلاً من الناس هم الذين يستطيعون الوصول إلى مستوى تحقيق الذات" .

(Maslow, A.H., 1959, p. 191)

المبدأ الثامن :

إن معظم الأشخاص – فى كلِ مكانٍ – تحركهم نفس الحاجات الأساسية وبنفس التسلسل والترتيب الهرمى للحاجات . ولكن تختلف الطريقة التى يشبع بها الأفراد فى الثقافات المختلفة حاجاتهم إلى الطعام والمأوى وتكوين الصداقات وغيرها ، وكذلك تختلف الدرجة المحددة لحدوث الإشباع من ثقافة لأخرى .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 101, 102)

المبدأ التاسع :

"إن كل دافعية تشمل الإنسان ككل ويجب النظر إليها فى ضوء الشخصية بكاملها حيث تبنّى ماسلو اتجاهًا كليًا نحو الدافعية ؛ مشيرًا بصورة متكررة ودائمة إلى أن الفرد ككلٍ متكاملٍ وليس كجزءٍ أو وظيفةٍ ما هى التى تدفعه للسلوك" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 27)

المبدأ العاشر :

"يرى ماسلو أن السلوك الظاهر غالبًا ما يُعبِّر عن الحاجات الأساسية الكامنة . فالدافعية تتصف بالتعقيد ، وعلينا أن نبحث فى السلوك الظاهر عن الأسباب الخفيّة المعقدة وراء هذا السلوك ، وتعقيد عملية الدافعية ترجع إلى المكونات غير الشعورية للدافع" .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 66)

المبدأ الحادى عشر :

إن السلوك الإنسانى متعدد الدافعية حيث يمكن أن يشبع السلوك حاجات كثيرة فى وقتٍ واحدٍ وهذا ما يسمى بمبدأ الديناميكية فى الدافعية .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 67-68)

"وقد تساءل ماسلو عن عدد الحاجات التى يملكها الإنسان ؟"

"How many needs do I have?"

وأجاب ماسلو على هذا السؤال بأن حاجات الإنسان تتضمن فئتين أساسيتين :

١- الحاجات الأساسية (الفسيولوجية والأمن) .

٢- الحاجات النفسية (الحب والانتماء وتقدير الذات وتحقيق الذات والفهم والمعرفة والجمال) .

وتأخذ الصفة الاجتماعية فى التعامل مع الحاجات النفسية فلابد من التواجد داخل مجتمع ليُشبع هذه الحاجات (النفسية) ، ولذلك أطلق ماسلو على هذه الحاجات اسم الحاجات النفسية الاجتماعية ، مؤكدًا أن كلاً منها يحمل بداخله الصفات النفسية والاجتماعية ، وهى دافعا لسلوك الإنسان . وعلى ذلك أطلق عليها ماسلو نظرية الدينامية المتفاعلة أو الدافعية الإنسانية" .

(Maslow, A.H., 1954, p.16)&(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p.28)

٢ - التسلسل الهرمى للحاجات الأساسية عند ماسلو :

"لقد قدم لنا ماسلو مفهوم الارتفاع التدريجى الهرمى المهيمن ، أو سيطرة التنظيم الهرمى "Hierarchy of Prepotency" حتى يسهل فهم نظام الدوافع وعملها المعقد والمتداخل ، وكان يقصد ماسلو بهذا المفهوم أن الحاجات ذات المستوى الأعلى لا تبزغ حتى يتم إشباع الحاجة الأخرى الأكثر سيطرة ، وإذا أُشْبِعَت الحاجة فإنها لا تُعَدُّ حاجةً بعد ، وعلى هذا يؤدى إشباع حاجةٍ من الحاجات إلى محاولة الإنسان لأن يشبع الحاجات الأخرى ، فالإنسان مدفوعٌ ليس بإشباعاته ولكن مدفوعًا بما يحتاج إليه" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 80) & (Maslow, A.H., 1973, p. 24)

"ويرى ماسلو أن الحاجات الفسيولوجية هى بدون شك أكثر الحاجات سيطرة وغلبةً عن الحاجات الأخرى ، وهذا يعنى شيئًا واحدًا فقط ، وهو أن كل الدوافع الأخرى تشتق من الحاجات الفسيولوجية - بطريقة أو بأخرى - وأن هذه الدوافع هى دوافع فطرية وذات أصل بيولوجى وكان هذا هو المعنى التام لمفهوم ماسلو سيطرة التنظيم الهرمى "Hierarchy of Prepotency" .

(Maslow, A.H., 1973, p. 25)

"ومن ثمَّ فالحاجات هى المحرك الأساسى للإنسان" .

(Maslow, A.H., 1973, p. 30)

وقد حدد ماسلو هذه الحاجات على شكلٍ هرميٍ يشمل الحاجات الخمس الآتية :

١- الحاجات الفسيولوجية . The Physiological Needs.

٢- حاجات الأمن . The Safty Needs.

٣- حاجات الحب والانتماء . The Belonging and Love Needs.

٤- حاجات التقدير للذات . The Esteem Needs.

٥- حاجات تحقيق الذات . The Actualization Needs.

ثم أضاف ماسلو ثلاثة أبعاد أخرى لهذا التنظيم الهرمى وهى : حاجات المعرفة والفهم ، والحاجات الجمالية ، والحاجات العصابية . ولكن لم يحدد ماسلو موقعًا لهذه الحاجات على مستويات التنظيم الهرمى ، ولكنه ذكر أن الحاجات العصابية تختلف عن الحاجات الأخرى فى أنها تؤدى إلى الإصابة بالمرض أكثر من الصحة .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 90-98) &

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 31)

وسوف **تقوم الباحثة** بعرض هذا التنظيم الهرمى ومستوياته الخمسة ، ثم تشير بعد ذلك إلى حاجات المعرفة والفهم ، والحاجات الجمالية ؛ لما لها من أهميةٍ فى إشباع الحاجات الأساسية .

أ - الحاجات الفسيولوجية :

وتمثل الحاجات الفسيولوجية نقطة البداية فى نظرية الدافعية عند ماسلو والتى تُلقَّبُ بالدوافع أو المحركات الفسيولوجية الجسمية ، ويقول ماسلو إنه سوف يدرس هذه الحاجات فى إطار مفهومين هما :

١- تنمية مفهوم الاتزان الحيوى "Homeostasis" .

٢- وجود شهية أو ميل فطرى لاختيار أفضل الأطعمة يكون - بحق - له علاقة فعَّالة للحاجات الحقيقية أو نقص فى الجسم .

ويقصد بمفهوم الاتزان البدنى ، أو النزوع إلى الاتزان بين العناصر المختلفة داخل الجسم ، بأنه الجهود المستمرة التى يبذلها الجسم من أجل الحفاظ على الحالة المعتادة الطبيعية

والمستمرة فى ضخ الدم ، وقد عرّفها كانون "Cannon" (١٩٣٢) بأنها العملية الملائمة بين الدم وكل من الماء والملح والسكر والبروتين ، كما يشير إلى نسبة الدهون والكالسيوم والهيدروجين وكذلك الأكسجين ودرجة الحرارة الثابتة للدم ، ومن الواضح أن هذه القائمة يمكن أن تحتوى على معادن وفيتامينات وهرمونات أخرى .

(Maslow, A.H., 1954, p. 80)

بينما عرّف يونج "Young" (١٩٤٨) الشهية أو الميل الفطرى وعلاقتها باحتياجات الجسم بأنها : إذا كان هناك نقصٌ فى بعض العناصر الكيميائية داخل الجسم فإن الفرد سيتجه بطريقةٍ تلقائيةٍ ليطور وينمى من شهيته وميله الفطرى من خلال الجوع الفطرى من أجل تناول نوعٍ معينٍ من الطعام أو هذا العنصر الناقص فى الطعام ، ولكن بعض هذه الحاجات الجسمية لا يمكن تفسيرها بنفس الطريقة فى إطار مبدأ الاتزان البدنى ، مثال على ذلك النزعة الجنسية والحاجة إلى النوم والنشاط وكذلك غريزة الأمومة فى الحيوان .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 29)

وقد أطلق ماسلو على الحاجات الفسيولوجية اسم الحاجات الأساسية للعنصر البشرى ، وقد أعطاها المرتبة الأولى أو الدرجة الأولى فى التنظيم الهرمى . وكما يذكر ماسلو أن الإنسان يستطيع أن يعيش بالخبز وحده وذلك فى حالة عدم وجوده ، ويعلّق ماسلو على هذا المستوى من الحاجات بقوله "بالنسبة لإنسان جائعٍ بصورةٍ مزمنةٍ ومُفرطةٍ تتحدد المدينة الفاضلة (اليوتوبيا) عنده بأنها مكانٌ يوجد به قدرٌ وافرٌ من الطعام وينزع إلى التفكير بأنه إذا أمّن حاجته من الطعام باقى حياته ، سوف يكون سعيدًا تمامًا ، ولن يحتاج لأى شىء آخر . فالحرية والحب والشعور بالانتماء قد تستبعد على أساس أنها أنواع من الكماليات عديمة الفائدة لأنها تفشل فى ملء المعِدَة .

وتختلف الحاجات الفسيولوجية عن حاجات المستوى الأعلى فى جانبين هامين :

١- أنها الحاجات الوحيدة التى يمكن إشباعها تمامًا ، أو حتى إشباعها أكثر من اللازم ، فالإنسان يمكن أن يجد ما يأكله وزيادة حتى يفقد الطعام تمامًا قوته الدافعة ، بحيث أن ظهور الطعام مرة أخرى أمام شخص انتهى حالاً من وجبة حافلة قد يؤدى به إلى الغثيان .

٢- أنها حاجات ذات طبيعة دورية متكررة ، فبعد إشباع الحاجة إلى الطعام سرعان ما يعود الفرد إلى الجوع مرةً أخرى . فنحن دائمًا ما نحتاج إلى تجديد ما نستهلكه من ماءٍ ، وكل نَفَس تتنفسه لابد وأن يتبعه نَفَسٌ آخر .

أما حاجات المستوى الأعلى فهى لا تتكرر بصفة دورية مستمرة ، فإذا أشبعنا الحاجة للحب والتقدير فإنها ستظل مشبعة إلى أن تستثار بطريقة عارضة . أما الحاجات الفسيولوجية فإنها مهما أُشبِعَتْ فإنها لن تلبث أن تعاود الظهور مرة أخرى .

ويتضمن هذا المستوى الحاجات التالية : (الطعام ، الماء ، الأكسجين ، الراحة ، الجنس ، الحماية من تطرف درجات الحرارة (زيادة أو نقص) ، الحاجة إلى الاستثارة الحسيَّة والنشاط .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 82-84)

"حيث يحتاج الجسم للحفاظ على حياة الكائن الحىّ واستمرار بقائه أن تقوم أجهزته وأعضاؤه بوظائف الحياة المختلفة ، ويتطلب قيام تلك الأجهزة بتلك الوظائف الحيوية تركيزًا معينًا لبعض المواد فى سوائل الجسم . وهذه الحاجات تتطلب إشباعًا دوريًا ومتجددًا ؛ تتوقف فتراته على حسب نوع الحاجة الفسيولوجية المحددة" .

(Maslow, A.H., 1959, p. 116)

"وتبرز أهمية هذه الحاجات عندما تتعرض للحرمان الشديد حيث تصبح للحاجات الجسمية والفسيولوجية الأولوية فى الإشباع ، بل تحجب ما عداها من حاجات أخرى ؛ وبذلك تصبح هذه الحاجة هى المصدر الوحيد للدافعية لدى الإنسان" .

(Maslow, A.H., 1968, p. 41)

"ويقول ماسلو إن الإنسان الذى يشعر بالجوع الشديد لا توجد لديه أى اهتمامات أخرى سوى إشباع حاجته للطعام فهو يحلم بالطعام ولا يتذكر سوى الطعام ولا يفكر إلا فى الطعام ؛ وهو بذلك يركز انفعاله على الطعام فقط ، فهو لا يريد سوى الطعام فقط ، ويمكن أن نقول عن مثل هذا الرجل : إنه "يعيش بالخبز وحده" .

ويشير **ماسلو** إلى أنه من المحتمل أن يضع قائمة طويلة عن الحاجات الفسيولوجية ، وسوف يعتمد فى وضع هذه القائمة على تحديد الحاجات التى نريد إشباعها .

ومن المحتمل أن يظهر لدينا بوضوح الحواس المتنوعة الناتجة عن إشباعنا لهذه الحاجات (الفسيولوجية) ومنها حاسة التذوق ، الشم ، الملاحظة ، ومثل هذه الحواس يجب أن تتضمن بين الحاجات الفسيولوجية ذات التأثير العظيم على السلوك الإنسانى . وعلى الرغم من أننا يمكن أن نعتبر الحاجات الفسيولوجية منفصلة عن الحاجات الأخرى ، وعلى الرغم من أننا نستطيع تحديدها بسهولة أكثر من الحاجات الأعلى ، إلا أنها كدافع لا يمكن معاملتها على أنها منفصلة عن بعضها البعض . فعلى سبيل المثال : الإنسان الذى يشعر بالجوع ربما يكون فى نفس الوقت يشعر بالحرمان من الحب أو الأمن أو بعض الحاجات الأخرى ، وعلى العكس من ذلك فبعض الناس تشبع أو تحاول إشباع حاجات الجوع عن طريق الأنشطة الأخرى المختلفة مثل التدخين أو شرب المياه ، وهكذا فحاجات الإنسان فى علاقة تبادلية .

ويقول **ماسلو** إننا يمكن أن نتعرف على الحاجات الأساسية الفسيولوجية من خلال المدرستان الأساسيتان فى علم النفس . حيث تؤكد المدرسة السلوكية على أن حوافز و(دوافع) الإنسان الوراثية هى دوافع فسيولوجية . ويشير ماسلو إلى أن هذه المقولة ربما ترجع إلى الحقيقة التالية ، وهى أن معظم السلوكيين أجروا تجاربهم على الفئران ، واتضح من التجارب أن هذه الفئران لديها – بوضوح – عدد من الدوافع الفسيولوجية . ويعتقد ماسلو أن السلوكيين محقّين فى تعريف الحاجات الفسيولوجية ، باعتبارها هى القوة المؤثرة فى سلوك الإنسان مادامت أن هذه الحاجات الفسيولوجية لم يتم إشباعها . ولكن السؤال الحقيقى الذى طرحه ماسلو هو : **ماذا يحدث لرغبات الإنسان حين يتوافر الخبز وتمتلئ بطنه دومًا** ؟ وكانت إجابة ماسلو بأن مجموعة الحاجات الموجودة فى المستوى الأعلى سوف تبزغ ، وهذه الحاجات أكثر من كونها حاجات فسيولوجية مثل الجوع ، وتسيطر هذه الحاجات على الكائن الحىّ ، وعندما تشبع هذه الحاجات تظهر حاجات جديدة مرة أخرى وتحاول الإشباع وهكذا" .

(Frank, G., 1970, pp. 38-39)

وسوف تتبنى الباحثة تعريف ممدوح الكنانى (١٩٨٧) للحاجات الفسيولوجية على أنها "ما يحتاج إليه الفرد من طعام ، ماء ، أكسجين ، نوم ، جنس ، إخراج ، حماية من تطرف درجة الحرارة ، استثارة حسيَّة ونشاط ، كفاءة الأعضاء والأجهزة المختلفة بالجسم فى القيام

بوظائفها على نحو مناسب" ، وهو التعريف الإجرائى المستخدم فى قياس تلك الحاجة بالمقياس المستخدم فى الدراسة الحالية .

(ممدوح الكنانى ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٩)

ب - الحاجة إلى الأمن والأمان :

"يذكر ماسلو أنه حينما تشبع الحاجات الفسيولوجية ولو إشباعًا نسبيًا تبرز مرتبة جديدة من الحاجات والتى تضاف تحت اسم حاجات الأمن ، وكل ما قيل عن الحاجات الفسيولوجية يمكن أن يُقال على تلك الحاجات بالتساوى على الرغم من قلة درجة هذه الحاجات" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 84)

"فعندما يتم الإشباع النسبى للحاجات الفسيولوجية يصبح الإنسان مدفوعًا تمامًا لإشباع حاجات الأمن ، فنجد كافة إمكانياته وطاقاته مسخرة لإشباع هذا الدافع ويصبح السلوك مدفوعًا بقوة لتحقيق هذا الإشباع ، وكما يذكر ماسلو يصبح الإنسان مدفوعًا بقوة ما أطلق عليه ميكانزمات البحث عن الأمن" .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 32)

وتشمل هذه الحاجات : الأمن الجسمى والاستقرار ، الاعتماد على الغير والحماية ، التحرر من القوى المهددة للأمن كالمرض والخوف والقلق والفوضى وعدم النظام ، بل والحاجة إلى القانون والترتيب والنظام .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 85-86)

وحاجات الأمن مثلها مثل الحاجات الفسيولوجية من حاجات المستوى الأدنى ، ولكنها تختلف عن الحاجات الفسيولوجية فى أنها لا يمكن إشباعها أكثر من اللازم ، فالإنسان - أبدًا - لن يكون آمنًا أكثر من اللازم ، فمثلاً لو كان شخص ما يخشى الحرب النووية واستطاع الاختباء فى أحد المخابئ فإنه - أبدًا - لن يأمن أن ينهار السقف فوقه نتيجة زلزال مثلاً ، ولا يمكن أن تكون هناك حماية كاملة من النيازك ، والشهب السماوية ، أو الحرائق ، أو الفيضانات ، أو أعمال العنف وغيرها .

(Maslow, A.H., Hung, M., 1977, p. 33)

"ويشير **ماسلو** إلى أن حاجات الأمن تدفع الناس إلى الحرص والحذر بل تثير فيهم الرغبة فى تملك العقارات ، والتأمين على الحياة ، والادخار ، علاوة على ما تبعثه النظم الدينية من أمن روحى . كما يرغب الأطفال فى طريقة محددة روتينية يمكن الاعتماد عليها فى حياتهم . بينما يرغب الراشدون فى الحصول على الوظائف المستقرة ، ودائمًا ما يلجأ الأطفال للكبار لإشباع الحاجة للأمن . ومن خلال الملاحظة أن لهم ردود أفعال وعادات واضحة للمحافظة على أمنهم فهم دائمًا فى حاجة للكبار من أجل تخليصهم من مختلف الأمراض كما يزعمون ، وعلينا أن ندرك أن الأطفال بحاجة شديدة إلى تنظيم عالمهم بشكل مبسط بما يؤمِّن سلامتهم وهذه مسئولية يشارك فيها الطفل ، والوالدان ، والمدرس ، وعلماء النفس ، وكذلك المعالجين النفسيين والأطباء" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 86)

ولذلك يُفضل الإنسان الحصول على عملٍ مستقرٍ ثابتٍ يشعر من خلاله بالأمن ولو كان بأجرٍ بسيطٍ أفضل من عمل يُدرّ عليه ربحًا كبيرًا ولكنه غير مستقر أى أنه لا يؤمِّن مستقبله ، وعلى نطاق أكثر اتساعًا يتضح التفضيل الشائع للأشياء المألوفة عن الأشياء غير المألوفة ، وكذلك يفضل الأشياء المعروفة عن الأشياء غير المعروفة ؛ وصولاً فى النهاية إلى مفهوم الأمن الانفعالى "Emotional Security" الذى قدم ماسلو له ثلاثة أبعاد أساسية وهى :

١- شعور الفرد بأن الآخرين يتقبلونه ويحبونه ويعاملونه بدفء ومودَّة .

٢- شعور الفرد بالانتماء وإحساسه بأن له مكان فى الجماعة .

٣- شعور الفرد بالسلامة وندرة الشعور بالخطر والتهديد والقلق .

(Maslow, A.H., 1954, p.87)&(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p.34)

"وبذلك تتمثل حاجات الأمن لدى الفرد فى حاجته إلى حماية نفسه ووقايتها من العوامل التى تُشكل خطرًا عليه سواء عن حقيقة أو وهم ؛ ففى ظروف معينة قد تصبح الظواهر الجوية والطبيعية والمناخية كالأعاصير والعواصف والزلازل والبراكين ...إلخ ، من العوامل التى تُهدد وجود الإنسان وبقاءه . كذلك فإن بعض العناصر البيئية البيولوجية قد تشكل – أيضًا – مثل هذا التهديد ، كما هو الحال فى الأوبئة والأمراض ، كما توجد

بعض العناصر البيئية البيولوجية قد تشكل – أيضًا – مثل هذا التهديد ، كما هو الحال فى الأوبئة والأمراض ، كما توجد بعض العناصر البيئية الاقتصادية والسياسية تشكل – أيضًا – مثل هذا التهديد ، كما هو الحال فى الحروب وعدم الاستقرار الاقتصادى وتزايد احتمالات التعرض للحوادث والأخطار ، وموجات الإجرام والفوضى ، والأزمات والانهيار الاجتماعى الذى قد تتعرض له بعض المجتمعات فى بعض الظروف . كل ذلك يمثل تهديدًا وضياعًا لحالة الأمن بما يتطلب من الإنسان الدفاع عن أمنه والانشغال بذلك وحده دون أى شىء آخر" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 88)

ويشير ماسلو إلى أنه بجانب الأمن المادى يحتاج الفرد إلى الأمن الروحى ، والذى لا يتحقق إلا من خلال الإيمان بالله ، ويتأتى الأمن الروحى من الشعور الداخلى للفرد بذلك .

(Maslow, A.H., 1954, p. 89)

ويتضح لنا ذلك فى قول الله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [سورة النحل ، الآية رقم ١١٢]

ويمكن أن نستنتج الحالة الدافعية القائمة على عدم الأمن من عدد من الاستجابات المختلفة التى يمكن أن تتحدد فى أربع فئات من الاستجابات منها :

- السلوك الظاهرى الذى يصدر عن الفرد كنتيجة لبعض المثيرات .
- التغيرات الجسمية ، وخاصة فى الجهاز العصبى الذاتى والتلقائى .
- الحركات اللاإرادية مثل الارتعاش .
- المشاعر الذاتية للخوف أو الضيق والتى يمكن التعبير عنها لفظيًا للفاحص .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 35)

"ولحاجات الأمن أهمية كبيرة ، فالهدف الذى ترمى إليه كل الحاجات الاجتماعية هو الشعور بالطمأنينة ، ويؤدى الشعور بعدم إشباع هذه الحاجات إلى الشعور بالقلق

والتعاسة واحتقار الذات ، والحاجات الاجتماعية كلها تدفع إلى حالتين هما : الخوف من العقاب الاجتماعى ، فقدان الأمن بفقدان العطف والشعور بالوحشة وفقدان اعتبار الذات" .

(سعد جلال ، ١٩٨٥ ، ص ٤٧٦)

وتقول **هورنى "Horney"** إن القلق الأساسى متصل بالشعور الذى ينتاب الطفل بعزلته وعجزه فى عالم يحفل بإمكانيات العداوة . ويمكن أن تؤدى مجموعة كبيرة من العوامل المتباينة فى البيئة إلى هذا الشعور بانعدام الأمن إلى الطفل : وهى التحكم والسيطرة المباشرة وغير المباشرة ، اللامبالاة ، السلوك غير المنتظم ، عدم احترام حاجات الطفل الفردية ، نقص التوجيه الحقيقى ، الاتجاهات المحقرة والإسراف فى الإعجاب أو غيبته ونقص الدفء الموثوق به ، والاضطرار إلى الانحياز لأحد الوالدين عند الخلاف ، والمسئولية الزائدة عن الحد أو الناقصة للغاية ، والحماية الزائدة ، والانعزال عن الأطفال الآخرين ، وعدم العدالة والتفرقة فى المعاملة ، وعدم الوفاء بالوعود ، والجو المعادى وهلمَّ جرا .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ١٣٧)

وليس أحوج من المراهق إلى الأمن والأمان فهو معرض للخوف والقلق لأنه قادم على عالم جديد يخشى طغيان دافعه الجنسى وإفلات الزمام من يده ، ومما يزيد قلقه وخوفه أيضًا رغبته الشديدة فى الاستقلال والتحرر من سلطات الكبار سواء فى الأسرة أو المدرسة أو فى المجتمع بصفة عامة .

"وفى مرحلة المراهقة والشباب يرتبط الأمن النفسى – بصفة خاصة – بتأمين الشباب والمراهقين لحياتهم إزاء أمرين هما : الأول : المستقبل الدراسى والمهنى ، والثانى : العلاقات مع الجنس الآخر وإنشاء أسرة المستقبل أو الغد" .

(صموئيل مغاريوس ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠)

وكما ذكرنا سابقًا يحقق الإنسان إشباع حاجته للأمن عن طريق تواجده فى مجتمع آمن يحكمه النظام ، ومن خلال عمل مستقر يشعر بالاستقرار فيه ، وعن طريق القيم الروحية والدينية التى يؤمن بها . فإذا تم تأمين حياة الإنسان بإشباع حاجاته الفسيولوجية والجسمية والأمن تراجعت عن المقام الأول فى توجيه دافعية الفرد ، وفى التأثير على سلوكه ؛ مُفسحة الطريق أمام الحاجات الأخرى غير الملموسة ، ويأتى فى مقدمة هذه

الحاجات الحاجة إلى الحب والانتماء ، ولا يعنى هذا أن دور حاجات الأمن قد انتهى فقد تؤدى مواقف جديدة إلى استثارة هذه الحاجة مرة أخرى من جديد ولذلك تستعيد سيطرتها وهيمنتها على توجيه وتشكيل السلوك مرة أخرى . حيث يشير ماسلو إلى أنه خلال الفترات التى يشعر فيها الإنسان بالخطر تفقد حاجات المستوى الأعلى – كالحاجة إلى الحب والتقدير وتحقيق الذات – أولوياتها ويصبح الإنسان مدفوعًا كليةً من أجل التصدى لإشباع حاجة الأمن إلا أنه إذا أصبح الخطر والفوضى أسلوبًا دائمًا لحياته فإنه سرعان ما يعتاد على هذا الوضع ، ويعود الإنسان مرة أخرى لإشباع الحاجات الأعلى . ومثال ذلك – خلال الحرب العالمية الثانية – كان سكان لندن يعيشون – بصفة مستمرة – تحت تهديد القنابل إلا أنهم – خلال ذلك – كانوا قادرين على البحث عن الحب والتقدير وتحقيق الذات .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 88-89)

وسوف تتبنى الباحثة تعريف ممدوح الكنانى لحاجات الأمن والأمان والتى تُعرف إجرائيًا بأنها مقدار ما يحتاج إليه الفرد من حماية لنفسه ووقايتها من الظروف التى تشكل خطرًا عليه مثل : التقلبات المُناخية والطبيعية ، والأوبئة والأمراض ، والحروب وعدم الاستقرار السياسى والاقتصادى ، والانهيار الاجتماعى ، والتقليل من القلق المرتفع المصاحب للمستقبل المجهول سواء فيما يتعلق بدراسته ، أو عمله ، أو مأكله ، أو ملبسه .

جـ – حاجات الحب والانتماء :

"ويذكر ماسلو أنه إذا تم إشباع كلاً من الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن ولو إشباعًا جزئيًا فعندما تبرز حاجات الحب والعطف والانتماء وبتكرار ما تم وصفه عن الحاجات السابقة أو الأدنى فتفرض هذه الحاجات سيطرتها كلية على الإنسان كعوامل دافعة لسلوكه من إشباع هذه الحاجة فسيشعر الإنسان بحزن شديد لم يشعره من قبل ؛ لفقدان الأصدقاء ، أو الحبيبة ، أو الحبيب ، أو الزوج ، أو الزوجة ، أو الأطفال ، بل سيكون الإنسان متلهفًا لتكوين العلاقات العاطفية مع الناس – بصفة عامة – ومعنى هذا أن الإنسان سيسعى للمكانة داخل جماعته ، ويبذل كل جهده باستمرارٍ من أجل تحقيق هدفه ، وهو الحصول على مكانةٍ داخل جماعته ، وأن يصبح مقبولاً ومحبوبًا من قِبَل الآخرين . وعندما يشبع قدرًا ضئيلاً من هذا

الاحتياج يصير أكثر قوة من حيث البحث عن الحب والانتماء ، بل وستزيد دافعيته للحب أكثر من الشخص الذى لم يعرف الحب ، أو الذى لم يحصل عليه ، فيصبح فقدان الحب أو عدم الحصول عليه واقعًا ملموسًا ، بل ويفقد أهميته ، بل إنه يسخر من الحب كما لو كان شيئًا غير حقيقى أو غير ضرورى أو أنه شيءٌ مصطنع" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 89)&(Maslow, A.H., 1973, p. 26)

وكذلك الشخص الذى يتلقى إشباع الحب والانتماء أكثر من اللازم أو بما يتناسب مع حاجته منذ سنواته الأولى ؛ فلا يشعر بالآلام عندما يفقد الحب . فمثل هذا الإنسان لديه الثقة فى أنه مقبولٌ من الآخرين أو حتى عندما يُرْفَضُ من قبل الآخرين فإن هذا الرفض لن يدمره .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 35)

"وهكذا يتضح أن دافعية الإنسان للحب تختلف من فرد لآخر ، حيث إن دافعية الإنسان الذى لم يتلقَ سوى قدرٍ ضئيلٍ من الحب والانتماء تكون أقوى بكثير ، بل إنها أكثر إلحاحًا ؛ لإشباعها من فرد آخر تلقى قدرًا ملائمًا من الحب أو إنسان آخر لم يتلقَ أى حب على الإطلاق . ويشير ماسلو إلى أن الحب والعطف بالإضافة إلى سهولة التعبير عنهما من خلال النشاط الجنسى – بوجه عام – فإن البحث عنهما فى ظل التناقض مع العادات ، وفى وجود العديد من القيود والموانع ، يُعد صعبًا عمليًا . فكل المنظرين فى مجال علم النفس والصحة النفسية يؤكدون على أن إحباط الحاجة للحب – كحاجة أساسية – ستظهر فى صورة سوء التوافق أو التكيف" .

(Maslow, A.H., 1954, p.90)&(Maslow, A.H. and Hung, N., 1977, p.35)

"والحب كما يستخدمه ماسلو هو ألا تكون شاعرًا بالارتباك مع الجنس الآخر . ويمكن دراسة الجنس على أنه مجرد حاجة فسيولوجية ، ولكن يقول ماسلو إن السلوك الجنسى هو سلوك متعدد الأبعاد ، فهو لا يرتبط فقط بالحاجة إلى الجنس ، ولكنه يرتبط بالحاجات الأخرى . ومن بين الحاجات الرئيسية التى يرتبط بها الحاجة للجنس (هى الحاجة إلى الحب والعاطفة) ، ويؤيد ماسلو تعريف كارل روجرز للحب بأنه "هو شعور الفرد بالفهم العميق والقبول الشديد من جانب الآخرين" . وكان ماسلو يناضل نزعة الفرويديين إلى أن الحب مستمد من الجنس وهذا الاعتقاد خاطئ ، ويشير ماسلو بأن فرويد

لا يقع – بالطبع – فى هذا الخطأ بمفرده ولكن يشاركه فى ذلك كثيرٌ من المواطنين الأقل علمًا ، ولكن ربما اشتقّ فرويد هذه الفكرة من الأدلة المؤثرة على الحضارة الغربية ، فمعظم النظريات التى وضعها ماسلو ترى أن الحب والعطف هو هدف الإشباع الجنسى . ووجد ماسلو أن الحرمان من الحب يعوق إمكانية نمو وتطور الإنسان ، ويشير كثيرٌ من علماء النفس المرضى إلى أن الحرمان من الحب هو السبب الرئيسى فى حالات سوء التوافق ، أى أن الجوع للحب هو مرض النقص . ويصرح ماسلو بأنه مثلما يحتاج الفرد للملح أو الفيتامينات فى الطعام يحتاج الإنسان إلى الحب فى الحياة .

والحب عند ماسلو مرتبطٌ بالصحة النفسية السوية فالعلاقات العاطفية بين أى شخصين تتضمن الثقة المتبادلة بين الطرفين وأثناء هذه العلاقة يقل الخوف بين الطرفين ، وتتضاءل الدفاعات . ولكن تفسد علاقة الحب عندما يشعر أحد الرفقاء بالخوف ؛ وذلك حينما يشعر الطرف الآخر بأن نقاط الضعف والعيوب سوف تتكشف أمامه . ويصف لنا **كارل مينجر "Karl Menninger"** هذه المشكلة فيقول : "يضعف الحب قليلاً عن طريق شعور المحبين بأنهم لا يُعْجَبُونَ ببعض ، وقد يرجع ذلك إلى شعور الرفقاء بالخوف وقد يكون هذا الشعور زائدًا وقد يكون ناقصًا وهذا حسب كل شخص . وذلك حتى لا يرانا الآخرين إلا من خلال الأقنعة التى نتخفى وراءها ، وتجبرنا هذه الأقنعة عن طريق العرف والثقافة وهذا يدفعنا دائمًا إلى تجنب إظهار العاطفة والحفاظ على الصداقات عند المستوى السطحى حتى نستهتر بالآخرين ونفشل فى إظهار الإعجاب بهم ، وذلك لكى لا يقوم الآخرين بتقديرنا تقديرًا جيدًا . ويشير ماسلو إلى أن حاجات الحب تتضمن كلاً من إعطاء الحب واستقبال الحب من الآخرين . لذلك يجب أن نفهم الحب ويجب أن نكون قادرين على تعليمه ، بل قادرين على ابتداعه ، بل والتنبؤ به ، وذلك حتى يفقد العالم الخصومة والشك" .

(Frank, G., 1970, pp. 40-41)

"والمتأمل لواقع أو (مكان) هذه الحاجات فى التسلسل الهرمى لماسلو وما تحتويه هذه الحاجة من طبيعة اجتماعية وإنسانية حيث تستمد ركيزتها من الطبيعة الاجتماعية للإنسان وهى الحياة فى وسط نسق اجتماعى ملئ بالعلاقات الإنسانية المستمدة من الحب والانتماء لوجد أن هذه الحاجات تتوسط هذا التسلسل الذى طرحه ماسلو ما بين الحاجات فى المستوى الأدنى (الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمن) والحاجات فى المستوى الأعلى

(حاجات تقدير الذات وتحقيق الذات) أى أنها حلقة الوصل ما بين بقاء الإنسان ككائن حى يشبع حاجاته الفسيولوجية ويأمن على حياته وبقائه فى الحياة ، وما بين المستوى الأعلى من الحاجات الذاتية التى يؤكد ويثبت بها كيانه الإنسانى كشخصية لها ذاتيتها وفرديتها – من جهة أخرى – وعلى ذلك فإننا قد نتوقع أن سعى الإنسان لإشباع هذه الحاجات ذات الطبيعة الاجتماعية هو الطريق المكمِّل لإشباع المستوى الأدنى ، كما أنها السبيل للوصول إلى إشباع المستويات الأعلى منها ، وبذلك فإن إشباع الحاجات للحب والانتماء هدفٌ مقصودٌ فى ذلك الوقت . ويرى ماسلو أن الحب يتضمن مشاعر العطف والرقة والشعور بالسعادة وكذلك الحصول على مشاعر الحب من الآخرين ، والارتباط بعلاقات عاطفية معهم وكذلك الارتباط مع جماعته بالأهداف ، والمصالح ، والآمال ، والمخاوف ، والمعتقدات المشتركة ، وكذلك قبول ما اصطلحت عليه الجماعة من معايير . وقد أشار ماسلو – أكثر من مرة – إلى أن إحباط أو عدم إشباع حاجة الإنسان للحب والانتماء سيكون هو السبب الرئيسى لحالات سوء التوافق أو التكيف الاجتماعى" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 90)

"وترى **كارين هورنى** أنه قد لا يتوافر حبٌ حقيقىٌ للطفل فى بعض البيوت وإن بذل بعض الجهد لإشعار الطفل بالحاجة إليه . وعلى سبيل المثال : فقد تحل التعبيرات اللفظية عن الحب ، والعطف محل الحب الحقيقى والعطف الحقيقى ، ولا يجد الطفل مشقة فى إدراك الفرق بينهما ، ولكنه يتمسك بهذا الحب البديل لأنه لا يوجد غيره ، وحينئذٍ قد يقول الطفل لنفسه "أن علىَّ أن أكبت عدائى خوفًا من فقدان الحب" ؛ لذلك تُرْجِع كارين هورنى أصول السلوك العصابى إلى العلاقات بين الطفل ووالديه فإذا خُبِّرَ الطفلُ بالحب والدفء فإنه يشعر بالأمن وينمو نموًا سليمًا فى الأغلب . ولقد شعرت هورنى أن الطفل إذا شعر بأنه محبوبٌ حقيقة فإنه يستطيع أن يتغلب على ما يلقاه من سوء المعاملة ، كتعرضه للعقاب البدنى بين الحين والآخر دون أن تترك مثل هذه الخبرات لديه آثار مرضية . أما إذا لم يشعر الطفل بأنه محبوب ، فإنه يشعر بالعداء نحو والديه ، وهذا العداء سوف يسقط فى النهاية على كل شىء وكل فرد ويصبح قلقًا أساسيًا . وترى هورنى أن الطفل إذا كان لديه قلقٌ أساسىٌ فهو فى طريقه لأن يصبح راشدًا عصابيًا" .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ص ١٣٦ ، ١٣٨)

وتشبع الحاجة إلى الانتماء فى البداية عن طريق الأسرة (التى تستمر حاجة الفرد إليها مدى العمر) ثم يحتاج الفرد بإطراد نموه إلى توسيع دائرة علاقاته الاجتماعية لتشمل رفاق اللعب ، والجيرة ، وشلة الأصدقاء ، جماعة الفصل الدراسى ، وجماعة العمل والنادى . وتعتمد جاذبية أى من تلك الجماعات بالنسبة للفرد على مدى إشباعها لحاجاته . فكلما شعر الأفراد بأن حاجاتهم يمكن إشباعها عن طريق الانضمام للجماعة ، وكلما كانت الجماعة فعلاً أكثر إشباعًا لحاجاتهم زادت جاذبية الجماعة لأفرادها .

(حامد عبد السلام زهران ، ١٩٨٤ ، ص ٩٥)

فمن الحاجات الهامة أن يشعر الفرد بأنه ينتمى إلى أسرة ، وينتمى إلى جماعة من الأصدقاء ، وينتمى إلى جماعة مهنية معينة ، وينتمى إلى وطن معين ، وأن يعتز بانتمائه لهذه الجماعات ، وتعتز الجماعة بانتمائه إليها . وترجع هذه الحاجة أيضًا إلى العلاقة بالأم وأفراد الأسرة ، والروابط التى تتوطد بين الفرد وأسرته ، والفرد إذا شعر بعزلته وعدم انتمائه لمثل هذه الجماعات اعتراه القلق والضيق والحزن .

(سعد جلال ، ١٩٨٥ ، ص ٤٧٠)

ومما يزيد من التوتر الانفعالى للمراهق وشعوره بالاغتراب والقلق والحيرة هو عدم انتمائه إلى جماعة محددة ، فإن اقترب من جماعة الكبار أعرضوا عنه وإن ارتد إلى جماعة الطفولة لم يرحبوا به ؛ لذا تشتد حاجته إلى الانتماء إلى جماعة محددة تزيد من شعوره بالأمن والتقدير الاجتماعى ، والاعتداد بالنفس ، والبعد عن مشاعر العزلة والوحشة والغربة .

(أحمد عبد الخالق ، ١٩٨٧ ، ص ١٠٢)

وسوف تتبنى الباحثة تعريف ممدوح الكنانى (١٩٨٧) لحاجات الحب والانتماء والتى تُعرَّف إجرائيًا بأنها : مقدار ما يحتاج إليه الفرد من تقبل للآخرين ، والاقتراب والاستمتاع بالتعاون مع آخر حليف ، حب لموضوع مشحون انفعاليًا ، التمسك بصديق والاحتفاظ بولاء له ، إنشاء علاقات وجدانية وعاطفية مع الآخرين – بعامة – ومع الأفراد والجماعات الهامة فى حياة الأفراد – بصفة خاصة – حيث يرتبط وإياهم بأهداف ، ومصالح ، وآمال ، ومخاوف ، ومعتقدات ، وقيم ، واتجاهات مشتركة قبولاً لما اصطلحت عليه الجماعة من معايير وأنماط سلوكية .

(ممدوح الكنانى ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٩)

د – حاجات تقدير الذات :

"ويشير **ماسلو** إلى أن هذه الحاجة لدى كل الناس وهى رغبةٌ مبنيـةٌ علـى أسـاسٍ ثابتٍ راسخ قائم على تقييم مرتفع أو عالى ، وعادة ما تتمثل فيما يوجهونه لأنفسهم من احترام الذات وتقديرها وتقدير الآخرين ولهذا تصنف هذه الحاجات إلى مجموعتين فرعيتين :

- **المجموعة الأولى** : وتشمل الرغبة فى القوة ، والعلو ، والإنجاز ، والكفاية ، والسـيادة ، والكفاءة ، والمقدرة ، والثقة تجاه المجتمع ، والاستقلال ، والحريـة – وبصفـة عامـة – هى رغبة شخصية عامة لدى كل الناس وهى الرغبة فى الثقة بالنفس أو تقدير الذات .
- **المجموعة الثانية** : وهى ما يطلق عليهـا أحيانًـا الرغبـة فـى السـمعة الحسـنة والشـهرة والمكانة المرموقة والاعتبار ، والتى تعـرف بـالاحترام والتقديـر مـن النـاس الآخريـن ، والمنزلة ، والسيطرة ، والتقدير الخاص ، ونيل الانتباه ، والاهتمام ، والإعجاب" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 90)

"إذن فالحاجة لتقدير الذات تتمثل فى تحقيق الشهرة والمكانة والاحـترام مـن جـانب الآخرين ويؤدى إشباع حاجات تقدير الذات إلى مشاعر الثقة بالنفس ، والجـدارة ، والقـوة ، والمقدرة ، والكفاءة ، وبذلك يشعر الفرد بأنه ضرورى فى الحياة بل ومفيد للمجتمع ، ولكن إعاقة إشباع مثل هذه الحاجـة يسـبب مشـاعر الدونيـة والنقـص والضعـف والعجـز ، وهـذه المشاعر تسبب – تبعًا لذلك – تثبيط العزيمة أو التعويض أو النزعـات العصابيـة . ويشـير ماسلو إلى أن هذا التقدير يحقق ثقة الفرد بذاته وفهـم الأشـخاص العـاجزين والذيـن بحاجـة للمساعدة ويُسهل السبيل لدراسة الاضطرابات الشخصية والخلقية الحادة" .

(Maslow, A.H., 1954, p. 91)

"ويؤكد **ماسلو** علـى أنـه مـن الخطـر أن يؤسـس تقديـر الـذات اعتمـادًا علـى آراء الآخرين أكثر من تقديرها اعتمادًا على القدرة الحقيقية ، والكفايـة ، والكفـاءة للوصـول إلـى الهدف . ولهذا فإن العامل الأساسى فى تكوين تقديـر الـذات الصحيـح هـو أن يرتكـز علـى الاحترام المستحق من قبل الآخرين أكثر منه مجرد سمعة أو شهرة ظاهرية أو تملق بـدون جدارة أو استحقاق" .

(Maslow, A.H., 1973, p. 40)

ويتطلب إشباع الحاجة لتقدير الذات أن يشعر الفرد بقيمة ذاته وأهمية الدور الذى يقوم به فى حياته كإنسان – أولاً – وكقائم بالدور – ثانيًا – أن يلقى تقدير الغير لما يقوم به من عمل ، أن يشعر بالنجاح فيما يقوم به من عمل ، وأن يشعر بأن ما يقوم به من عمل له وزن وقيمة ، وأن يبذل الوقت والجهد فى سبيل نجاحه فى دراسته ، والنجاح والوصول إلى مستوى تحصيل مرموق يشعر بذاته . ذاتٌ ناجحة وموضعٌ للتقدير من غيره .

(سعد جلال ، ١٩٨٥ ، ص ص ١٦٤-١٦٥)

"ولكن إذا ما حدث إحباط لهذه الحاجة شعر الفرد بأنه مكروه ، أو محتقر ، أو منبوذ ، أو مغترب عن المجتمع ، وقد تدفعه هذه المشاعر البغيضة إلى الثورة والتمرد على الجماعة ، أو يحاول توكيد ذاته بالسيطرة والتغلب على الآخرين . ومهما يكن من أمر فإحباط هذه الحاجة من أهم أسباب فقد الإنسان لشعوره بقيمته وتقديره لذاته واحترامه لها" .

(أحمد عبد الخالق ، ١٩٨٧ ، ص ١٠١)

ولاشك أن الطلاب فى مرحلة المراهقة عندما يُواجهون بعدم التقبل الاجتماعى فى كل تصرفاتهم ؛ يغيرون من اتجاهاتهم نحو أنفسهم ، وقد تنمو لدى بعضهم صورٌ سالبة عن الذات ؛ وذلك بسبب الأدوار التى يُجْبَرُوا أن يلعبوها . ولذلك فإن هدف الأسرة يجب أن يتركز على مساعدة المراهقين فى تنمية مفهوم صحى عن ذواتهم ومطالبتهم بالقيام بالأدوار والأعمال التى تتفق مع قدراتهم ، والتقليل – بقدر الإمكان – من إجراء المقارنات غير العادلة بين المراهقين وغيرهم من الأبناء فى الأسرة .

وسوف تتبنى الباحثة تعريف ممدوح الكنانى لتقدير الذات والتى عرَّفها إجرائيًا بأنها : مقدار ما يحتاج إليه الفرد من شعور وتوقع لاتجاهات إيجابية من الغير نحوه متمثلاً فى درجة ونوع ما يظهر منه من اهتمام ، واحترام ، وألفة ، وانفتاح ، وثقة تجاهه ، السمعة الحسنة والصيت ، الشعور بالقوة والجدارة والكفاءة وشعور بأهميته وأهمية الدور الذى يقوم به ، شعور بالنجاح فيما يقوم به من عمل ، قيام بأعمال لها قيمتها الاجتماعية والمثابرة والإنجاز للوصول إلى ذلك كله .

(ممدوح عبد المنعم الكنانى ، ١٩٨٧ ، ص ص ١٢٩-١٣٠)

هـ - حاجات تحقيق الذات :

"ويعرِّف ماسلو الحاجة إلى تحقيق الذات بالمقولة "**ماذا يستطيع الفرد أن يكون وماذا يجب أن يكون**" **"What a man can? be he must be?"** والحاجة لتحقيق الذات تماثل الحاجة النفسية إلى النمو ، والتطور ، واحتمالية الانتفاع ، ويعتبر تحقيق الذات من أهم مظاهر نظرية ماسلو فى الدافعية الإنسانية . ولقد وصف ماسلو هذه الحاجة بأنها رغبة الفرد لأن يصبح أعظم وأعظم ، بل رغبة الفرد لأن يصبح كل شيء ، وقدرة هذا الشخص على أن يكون جذابًا - وبصفة عامة - وجد ماسلو أن الحاجة لتحقيق الذات لا تظهر إلا بعد الإشباع التام للحاجة إلى الحب وتقدير الذات" .

(Frank, G., 1970, p. 42)

"ويرى **ماسلو** أنه بعد أن أشبع الإنسان حاجاته الفسيولوجية وحاجات الأمن والحب والانتماء والتقدير ، بل ونال قسطًا مرتفعًا من الإشباع فإنه سيظل قلقًا ومنزعجًا ويزداد هذا القلق من أجل تحقيق ذاته . فيبدأ الفرد فى توجيه كل طاقاته وإمكانياته من أجل تحقيق ذاته ؛ لذلك فالشخص يفعل ما يتوافق مع إمكانياته ، لذلك فالرسام يجب أن يرسم ، والموسيقى يجب أن يمارس الموسيقى ، والشاعر يجب أن يكتب القصائد ، وبذلك يحقق الفرد لنفسه السلامة . وتشير الحاجة إلى تحقيق الذات إلى رغبة الإنسان المتزايدة للتعبير عن ذاته والوصول إلى تحقيق أقصى ما يمكن للفرد تحقيقه من طاقاته ، وإمكانياته الكامنة . ويعبر ماسلو عن ذلك (ما يستطيع الفرد أن يكون وماذا يجب أن يكون) أى رغبة الفرد فى إكمالِ الذات أو ميل الفرد ليصبح محققًا لإمكانياته ، هذا الميل ربما يكون تعبيرًا أو رغبة الفرد لأن يصبح أكثر مما هو عليه وليصبح كل شيء مستخدمًا كل طاقة يمتلكها" .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 91-92)

"وتُعرَّف الحاجة إلى تحقيق الذات كذلك على أنها: تلك الحاجة التى ينشأ عند استثارتها الدافع لأداء عمل معين يرى الفرد أنه أهل للقيام به ، فيُصر على إتمامه ؛ متخطيًا بذلك ما يقابله من عقبات ، وصعاب ، ومستثمر فيه كل ما لديه وما يمكن أن تصل إليه قدراته وإمكانياته على اختلافها وتنوعها ؛ محققًا لنفسه بذلك قدرًا من التميز يراه جديرًا بذاته" .

(سيد محمد خير الله ، ١٩٧٨ ، ص ٢٩٥)

وتشير **هورنى "Horney"** إلى أنه عندما لا تتوافر الظروف الملائمة لنمو الذات الواقعية يلجأ الفرد إلى تكوين صورة خيالية عن ذاته تتخذ من المثالية مركزًا لها ، وتعد هذه ظاهرة مرضية . وقد بيَّنت هورنى عددًا من الأعراض المرتبطة بهذه الظاهرة وهى : تمسُّك الفرد بمثلٍ أعلى يصعب تحقيقه ، كراهية الذات ، تحطيم الذات ولا يستطيع الفرد تقرير أموره بنفسه أو تحمل نتائج تصرفاته ، استجاباته لا تكون تلقائية ، لا يستطيع مواجهة ما يقابله من صعوبات ، ليست لديه القدرة على الإدراك الواقعى لما لديه من قدرات وإمكانيات .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ١٤٣)

وسوف تتبنى الباحثة تعريف ممدوح الكنانى (١٩٨٧) لتحقيق الذات والتى عرَّفها إجرائيًا بأنها : مقدار ما يحتاج إليه الفرد من شعور بالتفرد ، تحقيق لإمكاناته ، اختيار العمل أو مجال الدراسة الذى يلائمه فى حدود قدراته ، تجنب الأعمال الروتينية فى الحياة ، الاهتمام بالفكاهة والمرح ، مقاومة للاندماج الكلى فى الثقافة ، الثقة بالنفس والتقبل الإيجابى لها ، مرونة فكرية ، قدرة على التفكير الابتكارى .

(ممدوح الكنانى ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٠)

و - حاجات المعرفة والفهم :

ويشير **ماسلو** إلى أن حاجات المعرفة والفهم لم تكن موجودة فى كتابات المنظرين المبكرين من أمثال فرويد ، أدلر ، يونج . ولم يوجد أى شخص قام بأى محاولات نظامية فى بنية الطب النفسى المعرفى وكان شيلدر "Schilder" هو المحلل النفسى الوحيد الذى يوجد فى كتاباته تنويهًا عن الفضول والفهم .

ويشير **ماسلو** كذلك إلى الرغبة فى المعرفة والفهم على أنها حاجات تعمل فى المستوى الأعلى من الحاجات الأخرى وبشكل تفاعلى فهى أساس الحاجة إلى الجدارة ، وتتحقق جدارة الفرد عندما يصل إلى مرحلة السيطرة والتحكم فى البيئة المحيطة به - بأى شكل من الأشكال - حتى ولو كان بشكل نسبى أو محدد . وتتضمن حاجات المعرفة والفهم الحاجة إلى الاتساق المعرفى ، فإذا تناقضت المعلومات أو الأفكار أو المدركات فإن الإنسان سوف يشعر بالضيق والقلق الناتج عن هذا التناقض ، ومن ثم يحاول اختزال هذا

التناقض . وفى هذه الحالة فإن الإنسان عادة ما يبحث عن معلومات جديدة أو تفسير لسلوكه واتجاهه ، كذلك تتضمن الحاجة إلى المعرفة والفهم إعادة بناء وتنظيم المواقف بطريقة أوضح معنى وأكثر تكاملاً أى جعلها أكثر منطقية ومعقولية .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 93-94)

وتشير حاجات المعرفة والفهم كذلك إلى الرغبة المستمرة فى الحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات ، وذلك من خلال الأنشطة الاستطلاعية والاستكشافية والممارسة المنهجية القائمة على التحليل والتنظيم والبحث عن العلاقات ، واكتساب أصول التفكير العلمى ، كما تبدو هذه الحاجات فى تناول الأشياء ومعالجتها ، والميل نحو جانب الجدة فى المثير ، والسرور البالغ من ممارسة الأنشطة العقلية مثل : قراءة الأشعار والقصص البوليسية ، حل الألغاز ، الرغبة فى إتقان المعلومات وصياغة المشكلات وحلها ، والرغبة فى المنطقية والاتساق وعدم التناقض .

(آمال مختار صادق ، فؤاد أبو حطب ، ١٩٨٤ ، ص ٣٦٧)

وترى الباحثة أن البناء المعرفى عند الفرد فى حالة مستمرة من التغير ، بل إنه ينمو ويتجدد بصفة دائمة . فهل البناء المعرفى عند الطفل فى سن عشر سنوات هو نفس البناء المعرفى عند المراهق فى سن الخامسة عشرة ؟ بدون شك حدث تغير كبير للبناء المعرفى ؛ وذلك لأن أهداف الفرد وحاجاته تتغير من مرحلة لأخرى ، ومن موقف لآخر . فقد يثار الفرد بموقفٍ ما يجعله فى حاجةٍ لفهم أبعاد هذا الموقف ، ولذلك فهو يسعى من أجل الوصول إلى هذه المعرفة ، وبالتالى فهم الموقف . فى حين أن هناك مواقفٌ أخرى قد لا تمثل أى أهمية بالنسبة لنفس الفرد فى نفس الوقت .

ويحدد ماسلو العديد من المظاهر التى تدل على الحاجات المعرفية :

- **الحاجة للسعى نحو المنطقية والاتساق وعدم التناقض :** وحينما تتسق الأفكار والمعلومات المرتبطة بها لا تنشأ مشكلة ، بل يحدث ما يسمى بالتآلف المعرفى "Congnitive Corsonance" أما إذا تعارضت هذه الأفكار والمعلومات بعضها مع بعض أو تناقضت فيما بينها تنشأ حالة التنافر المعرفى "Congnitive Dissonance" وهذه الحالة تدفع الفرد إلى السعى نحو اختزال هذا التنافر والوصول إلى التآلف .

- **قدرة الفرد على الحساسية للمشكلات** : حيث يشعر الفرد بأى نقص أو خطأ أو شىء مفقود أو فى غير موضعه مما يزيد من توتره ، ومن ثمَّ يحاول عمل أى شىء لإزالة هذا التوتر ؛ ولذلك يبدأ بالبحث والتقصِّى وطرح الأسئلة واستخدام الأشياء وعمل تخمينات ... وما شابه ذلك ، ويبقى هذا التوتر حتى يختبر الفرد ما اكتشفه ، وتعتبر الحساسية للمشكلات من الخصائص الهامة لدى الشخصية المبتكرة .

- **الاستعلام أو التقصى** : وفيه يبدأ التعلم ويستمر وينمو ويُوجَّه عن طريق المتعلم ذاته فى سعيه لتوسيع مجال فهمه ، ولا يكون التلميذ وحده كلية فى هذا الأسلوب بل يوجد معه موجِّه التعلم ليجيب على استفساراته وأسئلته .

- **السلوك الاستكشافى** : وهو مجموعة من الأنشطة التى يقوم بها الفرد عامدًا أو غير عامدٍ فى اتجاه الإحاطة بعناصر الموضوع وعلاقة كل عنصر بالعناصر الأخرى .

- **حب الاستطلاع** : وهو الرغبة الملحة لاكتشاف البيئة التى يعيش فيها الفرد والبحث عن مثيرات جديدة والجرى وراء المعرفة . وتتضمن الحاجة إلى حب الاستطلاع الاستجابة الإيجابية للعناصر الجديدة أو الغريبة فى البيئة والتوجه نحوها محاولة لاكتشافها ، وحاجة الفرد ورغبته فى مزيد من المعرفة لنفسه ولبيئته ، بالإضافة إلى تفحص البيئة من أجل البحث عن الخبرات الجديدة ، وأخيرًا الحرص والمثابرة فى فحص واستكشاف المثيرات من أجل المزيد من المعرفة .

- **إحباط الحاجة إلى المعرفة** : ربما يؤدى إلى الإصابة بالأمراض النفسية مثلما يحدث عند إحباط الحاجات الأساسية وكذلك الحاجات الجمالية .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 94-95)

وسوف تتبنى الباحثة تعريف ممدوح الكنانى (١٩٨٧) لحاجة المعرفة حيث عرَّفها إجرائيًا بأنها : هى مقدار ما يحتاج إليه الفرد من اتساق عقلى معرفى ، توازن معرفى ، بحث عن معلومات جديدة ، تنظيم المواقف بطريقة أكثر تكاملاً وأوضح معنى ، حب الاستطلاع والاستكشاف ، الاستعلام ، التقصى ، تحليل وبحث فى العلاقات ، استخدام أصول التفكير العلمى والمنطقى فى الإحساس بالمشكلات وصياغتها وحلها .

(ممدوح الكنانى ، ١٩٨٧ ، ص ١٣٠)

ز – الحاجات الجمالية :

ويشير **ماسلو** إلى أننا نعرف القليل عن هذه الحاجات وذلك بالقياس إلى الحاجات الأخرى ، وقد حاول ماسلو دراسة بعض شخصيات المشاهير والمعروفين ، وذلك من خلال دراسة سمات شخصياتهم . ويصاب هؤلاء الأفراد بالمرض من الأشياء القبيحة ، ولا يمكن علاج هؤلاء الأفراد إلا عن طريق تطويقهم بالجمال ، وإقناعهم بأنهم لا يمكن أن يشبعوا رغباتهم إلا عن طريق شيء واحد فقط هو الجمال والفن . وعلى ذلك فالحاجات الجمالية هى حاجات غير معروفة وغير عامة ولكن هناك بعض الأفراد فى كل ثقافة مدفوعين بالحاجة إلى الجمال والخبرات المشبعة جماليًا وفنيًا . وقد أنتج الإنسان – على مرّ السنين وعبر الثقافات – الفن من أجل الفن ذاته ، وذلك منذ أيام الإنسان البدائى ساكن الكهوف وحتى عصرنا الحالى ، فهؤلاء الأفراد يفضلون الجمال وينظرون إليه على أنه قيمة مطلقة مستقلة عن أى منفعة مادية . ويحتاج الأشخاص الذين لديهم الحاجات الجمالية إلى سياق منظم وجميل وعندما لا تُشْبَعُ الحاجة الجمالية لدى هؤلاء الأفراد فإنهم يصبحون مرضى بنفس الطريقة التى يؤدى بها عدم إشباع الحاجات الأساسية إلى المرض العضوى . والأفراد الأصحاء يفضلون الجمال . ويشير ماسلو إلى أن هناك أدلة على أن الأفراد الذين يعيشون فى البيئات القذرة والتى يسودها الفوضى يصبحون مرضى (نفسيًا وجسديًا) بصورة أكبر من هؤلاء الأفراد الذين يحيط بهم الجمال والتناسق ولكن يصعب علينا هنا أن نحدد السبب والنتيجة .

وتتضمن الحاجات الجمالية الرغبة فى القيم الجمالية وتظهر لدى بعض الأفراد فى تفضيلهم للترتيب ، والنظام ، والاتساق ، والكمال ، سواء فى الموضوعات أو النشاطات أو الأوضاع ، ونزعتهم فى تجنب القبح والأوضاع القبيحة التى يسودها الفوضى وعدم التناسق .

(Maslow, A.H., 1954, p. 97)

ح – الحاجات العصابية :

إن إشباع الحاجات السابقة هو أساس الصحة النفسية والبدنية للفرد وإحباطها يؤدى إلى الإصابة بالمرض ، أو درجات ما من المرض . أما الحاجات العصابية فإنها تؤدى إلى

المرض الحقيقى سواء أُشْبِعَتْ هذه الحاجات أو لم تشْبَعْ ، وهـذه الحاجـات العصابيـة ليسـت بالضرورة أن تكون شعوريةً أو غير شعورية . ولكن بوجهٍ عام فإنها تكمن غالبًا فى منطقة اللاشعور أكثر منها فى الشعور ، وعلى ذلك فالدافعية عندما تصبح مدركةً فتشير إلى الدافعية الشعورية ، أو تصبح غير مدركة فتشير إلى الدافعية اللاشعورية . ويشير ماسلو إلى أنه يجب علينا أن نهتم بالدافعية اللاشعورية لأنها تؤثر على الحاجات الأساسية بشكلٍ واسعٍ ، والحاجات العصابية غير منتجة إنها تؤدى إلى استمرار الأسلوب غير الصحى ، وليس لها قيمة فى السعى وراء تحقيق الذات ، فهى عادة تعويض أو تخفيف لأثر عدم إشباع الحاجات الأساسية مثال على ذلك . عندما لا تشبع الحاجة للأمن فقد يتولد لدى الفرد رغبة شديدة لامتلاك الأموال والممتلكات والحفاظ عليها والحاجة لامتلاك الأموال والحفاظ عليها هى حاجة عصابية ، فهى ليست ذات قيمة كدافع نحو الصحة ، وكذلك عندما لا تُشْبَعُ حاجات الحب والانتماء ربما يزداد عداء وعدوان الفرد على الأشخاص الآخرين ، فكذلك العداء والعدوانية هما حاجات عصابية ، وكذلك فإن إشباع القوة كاحتياج عصابى لدى فرد ما وذلك بتقديم كل القوة التى يريدها لا يقلل شيئًا من عصابيته ، كما أنه لا يشبع حاجاته العصابية للقوة فمهما أُشْبِعَ فإنه يبقى محتاجًا إليها لأنه فى الحقيقة يبحث عن شىء آخر .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 101-102)

٣ - الشروط المسبقة على إشباع الحاجات الأساسية :

يشير **ماسلو** إلى أن هناك شروطًا مؤكدةً ومباشرةً يجب أن توضع فى الاعتبار قبل إشباع الحاجات الأساسية ، وعدم وضع هذه الشروط فى الحسبان يعد خطرًا مباشرًا على الحاجات الأساسية نفسها ، وتتمثل الشروط فى الآتى : حرية الفرد فى التحدث والكلام (أى حرية تعبير الفرد عن ذاته وحريته فى عمل ما يتمناه مالم يضر الآخرين فأنت حرٌ مالم تضر) ، وحرية الفرد فى البحث والاستقصاء عن المعلومات ، وكذلك حرية الفرد فى الدفاع عن نفسه ، والحفاظ على النظام داخل الجماعة التى ينتمى إليها ، بجانب الحق والعدل والأمانة التى يجب أن تتوفر للفرد فى التعبير عن ذلك كله) ، وكل هذه العناصر السابقة تعتبر أمثلةً على الشروط المسبقة لإشباع الحاجات الأساسية ، وإذا حدث ما يهدد هذه الشروط المسبقة فإن ذلك يثير لدى الفرد ردود أفعالٍ مشابهةٍ لردود أفعال الفرد التى

تثار عندما يحدث ما يهدد إشباع الحاجات الأساسية ذاتها ، ويؤدى ذلك فى النهاية إلى الإصابة بالمرض النفسى ، وفقدان الكثير من مكونات الشخصية السوية داخل الفرد ، ولذلك يجب حماية هذه الشروط السابقة وتطبيقها لأنه بدون تطبيق هذه الشروط قد يصبح إشباع الحاجات الأساسية صعبًا إلى حدٍ بعيدٍ أو على الأقل معرضًا للخطر .

فلو تذكرنا القدرات المعرفية (الإدراك الحسى ، العقلى ، التعلم) فإنها تعد سلسلة من الأدوات التكيفية والتى تقع بين الوظائف الأخرى لإشباع احتياجاتنا الأساسية ، وهذا يوضح مدى الخطر من الحرمان أو اعتراض طريق هذه القدرات أو الوظائف فى تأدية عملها ، فلابد أن تؤثر بطريقةٍ غير مباشرةٍ فى تهديد الحاجات النفسية الأساسية ذاتها ، ومثال على ذلك إذا واجه الفرد مشكلة ما وطُلب منه وضع حل ما لهذه المشكلة فإن أول ما يتحكم فى هذا الحل جوانب معينة داخل الفرد نفسه تتمثل فى : حب الاستطلاع لديه ، والبحث عن المعلومات ، والحقيقة ، والحكمة ، والمعرفة التى يتحلى بها ، وكذلك الإصرار على إيجاد مثل هذا الحل الذى يؤدى إلى إزالة الغموض عن المشكلة ووضع حل رشيد لها ، ولهذا يجب علينا أن نقدم افتراضات أخرى تتحدث عن درجات الحاجات الأساسية وكيفية إشباعها ، وما هو القدر الكافى لإشباع مثل هذه الحاجات وذلك حتى تكون جاهزة لأى رغبات شعورية (أهداف جزئية) تكون أكثر أو أقل أهمية مثل إشباع الحاجات الأساسية نفسها ، وربما السبب فى هذه الحالة أفعال سلوكية متباينة قد تساعدنا فى إشباع الحاجات الأساسية بصورة مباشرة ، وقد تؤدى إلى العكس فتؤدى إلى ميكانزمات دفاعية متباينة تعمل على عدم إشباع الحاجات نفسها حيث يصبح الفرد مدفوعًا بقوة الأهداف الجزئية وليس بقوة الحاجات الأساسية .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 92-93)

٤ - الحرمان من الإشباع :

يرى **ماسلو** أن النقص فى إشباع أى حاجة من الحاجات الأساسية يؤدى بالفرد إلى حالة مرضية ، وهذه الحالة تتفق مع الحاجة ذاتها . فحرمان الفرد من إشباع الحاجات الفسيولوجية يؤدى إلى التعب والمرض وفقدان الطاقة وسوء التغذية واستحواذ فكرة الجنس وغيرها على الفرد ، وتجنب ما عداها من الحاجات الأخرى وتصبح هذه الحاجة هى المصدر الوحيد للدافعية لدى الإنسان . فالفرد الجائع لا يهتم بكتابة الشعر ولو كان شاعرًا

ولن يبحث عن فتاة تشاركه الحب أو حتى يهتم بأى شىء آخر ، وذلك لأن شغله الشاغل هو إشباع هذه الحاجة والحصول على الطعام – مثلاً – أو كما سمَّاه ماسلو "جوع الحياة والموت" .

(Maslow, A.H., 1973, p. 316)

وتهديد الأمن أو عدم الشعور بالأمن يؤدى بالضرورة إلى الخوف والمرض والقلق والفوضى وعدم الأمان ، وهى من الأمراض النفسية والمشكلات الخطيرة على الفرد حيث إنها تقيد الحريات ويصبح الشغل الشاغل للفرد فى هذه الحالة كيف يؤمِّن نفسه من المخاطر التى قد يواجهها ، وقد تنتهى به الحياة دون أن يعرف معنى آخر للحياة سوى الخوف . وعندما يُحرم الفرد من الحب يصبح دفاعيًا ويميل إلى العدوانية ، أو – على النقيض – يزداد لديه الخجل الاجتماعى والانطواء . وهى حالات مرضية نفسية شديدة الخطورة ، والعواقب على الفرد وعدم إشباع هذه الحاجة يؤدى بالفرد إلى سوء التوافق ؛ وذلك لأن الحياة الحضارية المتمدنة متوحشة وتعمل على تفكك الروابط الأسرية ، بل وتعمل أيضًا على اختفاء التفاعل الاجتماعى المباشر – وجهًا لوجه – والمميز بالمحافظة على شعور الفرد بالقبول ممن حوله وشعوره بالحب والانتماء .

(Maslow, A.H., 1954, p. 87)

ونقص إشباع الحاجة للتقدير والاحترام يؤدى بالفرد إلى المرض فيصبح الفرد متشككًا فى ذاته ، وقيمته ، وقدراته ، ويفقد الثقة بالنفس ، ويعانى من نقص قيمة الذات ، بل أكثر من ذلك فيؤدى بالفرد إلى الشعور بالحيطة ، والدونية ، والشعور بالنقص ، والضعف ، والعجز ، وتثبيط العزيمة ، والاتجاهات التعويضية ، والشعور بالإحباط الذى يؤدى حتمًا إلى الصراع النفسى .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 323)

أما الحرمان من إشباع الحاجة إلى تحقيق الذات يؤدى إلى المرض أو بصورة أدنى – كما يعرِّفها ماسلو – "بما وراء المرض" أى غياب القيم ، ونقص الإنجاز وفقدان معنى الحياة ، بل إن ماسلو يرى أن كل فرد يولد ولديه استعداد نحو الصحة واتجاه للنمو نحو تحقيق الذات ، والفشل فى النمو الناتج من عدم إشباع تحقيق الذات يؤدى إلى العصبية والنمو غير الطبيعى . ويعتقد أن أى شخص لم يصل إلى تحقيق الذات هو شخص غير طبيعى ، وإحباط الحاجات

المعرفية وعدم إشباعها يؤدى إلى المرض والجهل وعدم الأمانة والسرية ، وتقلل من صحتنا النفسية أى أننا سنصبح مرضى ويصيبنا الاكتئاب وجنون الاضطهاد ، وإذا ما كُذب علينا بصورة مستمرة وأُخْفِيَت عنا المعلومات ؛ سيصيبنا القلق وعدم الارتياح ويصبح الفرد غير قادر على اتخاذ القرار الصحيح أو – كما أسماه ماسلو – "القرار الرشيد" ، كما أن شعور الفرد بالنقص وفقدان المعرفة يزيد التوتر والمشكلات إلى أن يؤدى بالفرد فى النهاية إلى فقدان الجدارة الذهنية ، والاستحسان الذى يؤدى بدوره إلى العزلة عن الآخرين ، وعن النفس كما عرّفها ماسلو .

(Maslow, A.H., 1954, pp. 96-97)

– الطبيعة الغريزية للحاجات :

أشار **ماسلو** إلى الطبيعة الغريزية للحاجات مفترضًا أن بعض الحاجات الإنسانية تتحدد داخليًا برغم إمكانية تعديلها بالتعلم وأطلق عليها الحاجات الغريزية ، وهذه الحاجات أساسية وغير متعلمة وهى خاصة بالإنسان فقط . كذلك ليست كل الحاجات الغريزية ثابتة لا تتغير فبعضٌ منها يمكن تعديله أو تغييره تحت المؤثرات البيئية . وقد حدد ماسلو معيارين مرتبطين معًا للفصل بين الحاجات الغريزية والحاجات غير الغريزية :

- **المعيار الأول** : يمكن ملاحظته عندما تعاق أو تحبط هذه الحاجات . فإعاقة أو إحباط الحاجات الغريزية يؤدى إلى الإصابة بالمرض بينما لا تؤدى إعاقة أو إحباط الحاجات الأخرى إلى ذلك .

- **المعيار الثانى** : وهو – كما وصفه ماسلو – معيار ثابت وهو أن الحاجات الغريزية هى حاجات مُلِحَّة ، ويؤدى إشباعها إلى الصحة النفسية بينما على العكس . فالحاجات غير الغريزية هى عادة غير مؤقتة وإشباعها ليس مطلبًا ضروريًا . ومثال على ذلك عندما لا يحصل الفرد على الحب الكافى يصبح مريضًا ويعاق ويحرم من تحقيق الصحة النفسية ، وكذلك فى باقى الحاجات الأساسية الأخرى (الحاجات الفسيولوجية ، الأمن ، التقدير) . فعند إحباطها أو الحرمان من إشباعها يؤدى إلى حالة مرضية . أما الحاجة إلى تمشيط شعر الرأس فهى تعتبر حاجة متعلمة والحرمان منها أو إعاقتها لا يؤدى عادة إلى المرض . ويُصرّ ماسلو على أنه يجب على المجتمع أن يحمى الحاجات الغريزية الضعيفة من سيطرة

الجوانب الثقافية الأقوى ، لذلك فمن الضرورى أن يشبع المجتمع حاجات أفراده ليس فقط الحاجات الفسيولوجية والأمن لكن كذلك حاجات الحب والتقدير وتحقيق الذات .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 337)

٥ - إشباع الحاجة :

إذا كان الحرمان والنقص فى إشباع الحاجة الأساسية يؤدى - كما ذكرنا سابقًا - للمرض ، فإن إشباع الحاجات النفسية الأساسية يؤدى بالضرورة إلى الصحة النفسية . حيث يؤكد ماسلو على أن إشباع الحاجات الأساسية يعد الطريق الأمثل للصحة النفسية وتحقيق الذات والاستمتاع الكامل بالطعام والجنس وبقية المتع الحسية الأخرى وهو جوهر وأساس الصحة النفسية عند ماسلو .

(Maslow, A.H. and Hung, M., 1977, p. 340)

(**ولكن كيف تتم عملية إشباع الحاجات ؟**) يذكر ماسلو أن إعطاء الإنسان الحرية من أجل التعبير عن ذاته يؤدى إلى إشباع هذه الحاجات ، وحدثنا ماسلو عن الشروط المسبقة على الإشباع - والتى سبق ذكرها - وتحدث ماسلو عن عملية الإشباع التى تتم من خلال السلوك ، حيث يعتقد ماسلو أن كل سلوك يصدر عن الإنسان له سبب ، وأن السلوك يمكن تقسيمه إلى سلوك مدفوع وآخر غير مدفوع ، فهناك بعض السلوكيات غير المدفوعة والتى أطلق عليها السلوك التعبيرى الذى يكون دائمًا غير مدفوع ، وأشار ماسلو إلى أن هناك عوامل تتحكم فى سلوكنا غير الدوافع والحاجات ولكنها عوامل مختلفة مثل الانعكاسات الشرطية ، النضج ، بل وأكثر من ذلك كالأدوية والعقاقير ، فليس كل محددات السلوك دوافع وحاجات لأن الدافعية تقتصر فقط على السعى من أجل إشباع حاجة ما . والسلوك التعبيرى هو غاية فى حد ذاته ، وهو فى الغالب لا شعورى ويحدث بصورة تلقائية وغير متعلمة وبأقل مجهودٍ وتحدده قوى داخل الفرد أكثر من البيئة ، وهو مجرد طريقة الشخص فى التعبير . ويشمل أنواعًا من السلوك مثل : المظهر ، والتعبير عن الفرح ، والاسترخاء ، والوقوف ، والسير ، والابتسامة ، والصوت . وعلى العكس من السلوك التعبيرى أو السلوك غير المدفوع يأتى عندنا السلوك المدفوع أو كما أسماه ماسلو بالسلوك المدفوع . حيث يصبح أساس عملية إشباع الحاجات فهو دائمًا يسبقه دافع يهدف

إلى إشباع الحاجات ، وهو عادة ما يكون شعوريًا ومتعلمًا ويصاحبه جهد مبذول ، وتحدده البيئة الخارجية ، ويشمل : محاولات الفرد للتوافق والتكيف مع البيئة ، والحصول على الطعام والمأوى ، وعمل صداقات ، وتلقى التقبل والحب والتقدير والمكانة من الآخرين . والسلوك التوافقى والتكيفى يسعى إلى تحقيق هدف ويكون مدفوعًا غالبًا بنقص فى حاجةٍ ما .

(Maslow, A.H., 1954, p. 186)

٦ - الانتقادات التى وجهها العلماء لنظرية ماسلو :

أ - "ليس هناك شك فى أن اعتقاد ماسلو أن علم النفس التقليدى قد ركَّز على الجانب المظلم من الطبيعة الإنسانية ، صحيح . غير أن هناك عدد من علماء النفس كانت ومازالت لهم مواقف مشابهة لموقف ماسلو ومخالفة للاتجاه التقليدى من أمثال : ادوارد ، البورت ، روجرز ، وكيلى . ويمكن القول - بصفة عامة - أن عددًا كبيرًا من علماء النفس التقليديين قد اهتموا فى الماضى - وما زالوا - بإبراز أهمية الحاجات الفسيولوجية من حيث تأثيرها فى السلوك ، كما انشغل البعض الآخر - وما زالوا - بالشروط والملابسات التى تسهم فى تعرض البشر للعصاب والذهان . ولقد بذل ماسلو جهدًا كبيرًا لكى يوسع نطاق علم النفس ومجال اهتمامه بحيث يتصدى لدراسة الأصحاء والأسوياء من البشر ، ولاشك أن جهوده - بالإضافة إلى جهود روجرز وألبورت - قد خلقت قوة ثالثة فى علم النفس .

ب - ولقد تعرض ماسلو لانتقاد مؤداه أنه لم يلتزم بالمنهج العلمى ، واستخدم أساليب بحثية غير موثوق بها وغير مضبوطة ، وأنه أسس نتائجه عن المحققين لذواتهم على عينة من الأفراد . وقد اتهم - فضلاً عن ذلك - باختياره للمفحوصين فى بحوثه وفقًا لمحاكاته الحدسية عن الخصائص المميزة لمن يحققون ذواتهم ، كما اتهم باستخدامه لمصطلحات غامضة مثل ما بعد الحاجة "Metaneed" وما بعد المرض "Metapathology" .

جـ - ولقد اتهم ماسلو - أيضًا - بأنه يخلط بين الاعتبارات الأخلاقية ، وبين المنطق ولقد أدى هذا الخلط ببعض النقاد إلى اعتباره مُصْلِحًا اجتماعيًا أكثر منه باحثًا موضوعيًا .

د – وقد نتجت إحدى الانتقادات التى وجهت لنظريته عما اتضح من بعض الدراسات أنه يمكن لعدد من الأفراد أن يصبحوا منتجين مبتكرين حتى ولو لم تشبع حاجاتهم الأساسية .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ص ٦٠٦-٦٠٧)

٧ – تعقيب الباحثة على نظرية ماسلو :

"على الرغم من هذه الانتقادات التى وجهها العلماء لنظرية ماسلو إلا أن فائدتها قد اتضحت فى علم النفس ، وفى التربية ، وفى مجال الصناعة والإدارة ، ويمكن القول أن نظرية ماسلو أكثر ملائمة للحياة الواقعية عمَّا يجرى فى معامل علم النفس" .

(جابر عبد الحميد ، ١٩٩٠ ، ص ٦٠٧)

ترى الباحثة أنه ليس هناك شكّ فى أن ماسلو قدم لنا واحدة من أعظم النظريات المفسرة للحاجات الإنسانية وهى النظرية القائمة على نموذج إشباع الحاجات وفقًا للتنظيم الهرمى ، حيث اعتقد ماسلو أن هذا النموذج ينطبق على جميع أنواع السلوك الإنسانى . فالفرد لا ينتقل من المستوى المنخفض إلى المستوى الأعلى الذى يليه إلا إذا أشبع الحاجة الأولى – بدرجة كافية – حتى يستطيع الانتقال إلى المستوى التالى .

أ – لقد نظر ماسلو إلى سلوك الإنسان على أنه ناتج عن وجود حاجة غير مشبعة ، وإذا تم إشباع هذه الحاجة فإنها لا تعد قوة دافعة ، أى أن الحاجة فى نظر ماسلو ينتهى تأثيرها بإشباعها ، ثم ينتقل الفرد إلى حاجة المستوى الأعلى .

- **وتتفق الباحثة مع ماسلو** فى ذلك فسلوك الإنسان عادة يصدر عن وجود حاجة غير مشبعة تسبب حالة من التوتر والضيق وتنتهى هذه الحالة بإشباع هذه الحاجة . إذن فالحاجة تُعَدُّ بمثابة القوة الدافعة والموجهة للسلوك . فالإنسان عندما يشعر بالجوع فإن هذا الشعور يدفعه إلى البحث عن الطعام ، وإذا حصل عليه وتناوله أشبع حاجته إليه ، وبالتالى ينتقل الإنسان إلى حاجة المستوى الأعلى .

ب – يرى ماسلو أن الإنسان يشبع حاجاته الأساسية فى صورة تسلسل هرمى حيث إنه ينتقل فى إشباع هذه الحاجات من المستوى الأول الذى يمثل الحاجات الفسيولوجية

إلى المستوى الثانى وهو حاجات الأمن ، ثم المستوى الثالث وهو الحاجة إلى الحب والانتماء ، والمستوى الرابع وهو الحاجة إلى تقدير الذات ، وأخيرًا المستوى الخامس وهو تحقيق الذات .

- **ولكن ترى الباحثة** أنه ليس من الضرورى أن ينتقل الفرد فى إشباع حاجاته بذات الترتيب الموجود فى التنظيم الهرمى عند ماسلو . فقد يسعى شخص ما إلى إشباع حاجته إلى تقدير الذات (على سبيل المثال) قبل أن يشبع حاجته إلى الحب والعطف والانتماء ، فكما هو الحال بالنسبة للعلماء الذين يجدون متعة كبيرة فى إتقانهم لأعمالهم وأبحاثهم وقضاء وقت أكبر فى معاملهم وأبحاثهم .

جـ - "يشير تنظيم الحاجات عند ماسلو إلى أن هناك حاجات بيولوجية ينشأ عن عدم إشباعها إيذاء الفرد عضويًا ، وهناك حاجات نفسية ينشأ عن عدم إشباعها اضطرابات نفسية ، وهناك حاجات اجتماعية ينشأ عن عدم إشباعها اضطراب فى التواصل مع الآخرين والتوافق مع العالم الخارجى ، كما توجد قيم عليا إن لم تتحقق أدى ذلك إلى اضطرابات روحية" .

(طلعت منصور ، ١٩٨٤ ، ص ١١٧)

- **ولكن ترى الباحثة** أن الأفراد أنفسهم يختلفون فى إدراكهم لحاجاتهم المختلفة وكذلك القيم والأوزان التى يعطونها لكل حاجة عندهم فقد نجد فردًا ما يعطى قيمة أكبر للحاجة إلى تحقيق الذات - مثلاً - على العكس من شخص آخر يعطى قيمة أكبر للحاجة إلى الانتماء ، إذن فطبيعة الشخصية تؤثر على تفضيل الشخص لحاجاته النفسية دون الآخر .

- **وترى الباحثة** أن التنظيم الهرمى للحاجات عند ماسلو يختلف باختلاف مراحل نمو الإنسان بل إنه يختلف من موقف لموقف آخر ، فالطفل الصغير - على سبيل المثال - تحتل الحاجات الفسيولوجية (الطعام ، الشراب ، التنفس ، الإخراج ...إلخ) المركز الأول والأخير لديه خاصة فى السنوات الأولى من عمره . ثم تبدأ تظهر حاجات أخرى مكتسبة من البيئة المحيطة به ومن تعامله مع الآخرين ولا يعنى ذلك انتهاء دور الحاجات الفسيولوجية إلا

أنها تتراجع نسبيًا ليصاحبها حاجات أخرى تعرف باسم "الحاجات الفسيولوجية والاجتماعية" مثل حاجة الطفل إلى الأمن والحب والانتماء للأفراد المحيطين به سواء فى نطاق الأسرة أو النطاق الأوسع نسبيًا والمتمثل فى جماعة الرفاق والمدرسة . ثم تبزغ لدى الطفل حاجته إلى إثبات وتحقيق ذاته وسط الجماعة التى يعيش فيها ، فمع مرور الوقت ما كان يحتل المرتبة الأولى اليوم ، فقد يحتل المرتبة الرابعة فيما بعد ، أى أنه مع مرور الوقت ومع تأثر الفرد بالعوامل والمؤثرات البيئية عن طريق اختفاء متغيرات وظهور متغيرات جديدة يبدأ الفرد فى إعادة ترتيباته مرة أخرى لحاجاته حتى يختار الحاجة التى تتناسب مع الموقف الجديد الذى يمر به .

د - يرى ماسلو أن سعادة الإنسان وصحته النفسية تتوقف على مستوى الحاجات التى استطاع الإنسان إشباعها .

- **ولكن ترى الباحثة** أن سعادة الإنسان وصحته النفسية هى عملية نسبية ، فهناك عوامل كثيرة قد تؤثر فى إشباع حاجات الإنسان ، ومن أهمها البيئة والتى تلعب دورًا كبيرًا فى إشباع حاجات الإنسان الأساسية والنفسية ، فقد تعطى البيئة الفرصة للإنسان ليشبع هذه الحاجات وقد لا تسمح البيئة أو تقف حائلاً أمام إشباع هذه الحاجات عند الإنسان .

وعلى الرغم من هذه التعقيبات التى وجهتها الباحثة إلى نظرية ماسلو إلا أن صاحبَها قد قدَّم لنا تصنيفًا مفيدًا للحاجات النفسية الإنسانية التى يسعى الفرد لإشباعها . وسوف تكتمل القيمة النظرية والعملية لهذه النظرية لو أنها شملت جميع الفئات العمرية ، وكذلك الفئات البشرية السوية ، والفئات الخاصة ذات الإعاقات المختلفة . حيث إن شمول النظرية لكافة فئات المجتمع البشرى من عادى ومعاق ، ومن سوى وغير سوى ، تعدَّ رسوخًا لقيمتها فتصبح حياتها أطول عمرًا إذا كانت بها بعض القصور .